

## الإتحاف واحة الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

«... وأنا أقرأ افتتاحية عدد فيفري من مجلة الإتحاف ، هزنتي نشوة غامرة . فمن كان يظن أن هذه التجربة التي انطلقت منذ ثلاث عشر سنة سيكتب لها الدوام . غير أن الإتحاف كسبت الرهان وأصبحت واحة أدبية يفيء إليها كل عشاق الحرف والكلمة من مشرق الوطن الكبير إلى مغربه ، وهذا ليس بغريب على مجلة كان شعارها الإبداع ، ولا شيء غير الإبداع ، وتشرف عليها هيئة من الأساتذة ومن رجال الأدب والفكر .

والإتحاف تسير بخطى ثابتة نحو الأفضل ، وهي تسعى دأبها نحو الإضافة والإسهام بشكل جاد وفعال في صنع المشهد الثقافي في الوطن العزيز . لا سيما وقد أصبحت مرآة للإبداع العربي بمختلف ألوانه وأشكاله

<http://ArchivesMag.com>

وأولى بشائر الإتحاف ارتفاع رقم الأعداد من عشرة إلى اثني عشر عددا في السنة . وهذا لعمرى اختيار صائب . ففي هذين الشهرين تخلد معظم الملاحق الثقافية والمجلات الأدبية إلى الراحة في عطلتها السنوية . مما يؤثر سلبا على المشهد الثقافي التونسي والإتحاف بمواصلة صدورها في هذه الفترة تكون ملأت هذا الفراغ وساهمت بجهدا بتنشيط الحياة الثقافية .

ثاني البشائر هويث دار الإتحاف للنشر هذا المشروع الذي سيهتم بانتاج أصدقاء الإتحاف وإخراجه كتباً . وهي محاولة جادة في دفع حركة طبع الكتاب التونسي ونشره . وأتمنى مخلصا أن تنجح في مسعاها هذا دون أن يؤثر سلبا على سير المجلة ولا يكون مآلها مآل مجلة الأخلاء . التي اختفت بمجرد أن أصبحت

لها دار نشر وتصدر كتابا في كلّ شهر . فخرنا منبرا أدبيّا  
ساهم في يوم ما في صنع المشهد الثقافي التّونسي . وبقدر ما أنا  
سعيد بهذا الإنجاز الرّائع للإتحاف بقدر ما أنا خائف  
عليها . وكيف لا أخاف وقد فتحت لي ولغيري ذراعيها  
لأستظلّ بفيئها .

البشرى الثالثة : منتدى الإتحاف للحوار والمؤانسة .  
ولكم تمنيت أن أكون بينكم للإسهام بمجهودي المتواضع في إنجاح  
هذا المنتدى .

والمجلة بانجازاتها الرّائعة هذه أصبحت مسؤوليتها أكبر تجاه  
القارئ العربي وخاصّة الشّباب . فالمجلة بما تقدّمه من فكر  
عربي أصيل ودراسات جادة في كلّ جوانب الأدب والفنون  
والعلوم لتحارب المؤامرات المستترة داخل المجلّات السّطحيّة  
والتي تهدف لدغدغة غرائز الشّباب وشلّ قدراتهم الإبداعية .

ختاماً :  
أتمنى مخلصاً أن تظلّ الإتحاف وآحة للإبداع العربي والثّقافة  
الإنسانيّة وأن تبقى دائماً في مستوى مسؤولياتها . وفقكم الله  
وسدّد خطاكم .

صفاقس

هذه هي المرّة الثّانية التي نعتمد فيها رسالة لأحد الأصدقاء  
كلمة للعدد ، وما ذلك إلّا لإحساسنا العميق بمدى تجاوزها مع  
التوجّه العام الذي نوّثه بناء على رؤيا شموليّة لا ينفرد بها قلم  
التّحرير وإنّما نستمدّها من القاسم المشترك لما أصبح يعرف  
عندنا في الإتحاف بأسرة التّحرير الموسّعة ، ولذلك نقول للصديق  
مختار ولغيره من الأصدقاء ، إنّنا باقون . بكم ومعكم . على  
العهد نخلص له ولا ننكته أبداً .  
التّحرير

# خصائص الثقافة

بقلم : حسن غزّيل

## 1 - ماهية الثقافة :

جاءت مادة : ( ث . ق . ف ) في اللسان العربي بمعاني متعددة : يُقال : ثقف الشيء ثقفا وثقافا : حذقه ، ظفّره ، أدركه ... ثقف الرجل : أي صار حاذقا فهو ثقف أي حاذق ، فهِمُ . والثقاف هو الرمح أو السيف (1). وهو حديدة تكون مع القواس والرماح يقوم بها الشيء المعوج " . (2)

ومازالت بعض القبائل العربية في مصر وليبيا تستعمل لفظ الثقافة للدلالة على جلسات المسامرة الأدبية بين الشيوخ ، ومازال البعض الآخر يستعملها للدلالة على الجلسات التي تجرى بين الشباب رجالا ونساء ، ليختر كل منهما الآخر قبل الزواج في ثقافة آله وعشيرته

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

بتّضح إذن من خلال السجلات اللفظية واللغوية لكلمة الثقافة بأنها "الحذق ، حسن التهذيب وتقويم القوى العقلية على طريقة موازنة وتهذيب الشخصية الإنسانية " (3).

أمّا في اللغات الأجنبية فإن كلمة Culture ترجع إلى الفعل اللاتيني Colère وفي الألمانية Kultur فإن معناها ينصرف إلى الزراعة أو البذر أو الرعاية أو الدرس ... ولعلّ هذا ما أشار إليه المفكر الجزائري مالك بن نبي في كتابه " مشكلة الثقافة " بقوله : " إن لفظة Culture التي تعني الزراعة في الأصل إنّما أطلقت على الثقافة إبان قيام الحضارة الزراعية في أوروبا وهو ما يعني تنزيل المسألة الثقافية مرتبة جليلة تضاهي تلك النهضة العظيمة اطلاق المصطلح إقرار باقتران الفكر الثقافي بكلّ نموّ حضاري لشعب ما " (4) .

أمّا معناه الاصطلاحي ، فقد استأثر بتعريفات متعددة من قبل المشتغلين

بعلوم التربية خاصّة وأهل الفكر عامّة منذ أواسط القرن التاسع عشر (5)، ولعلّ أقدم التعاريف الكلاسيكيّة الشائعة لمصطلح الثقافة في ذلك العصر تعريف الباحث الأنثروبولوجي " إدوارد تايلور " (1917/1832) بأنّها تعني : " ذلك المركّب الذي يشتمل على المعرفة والفنون والأخلاق والتقاليد والقوانين وجميع المقوّمات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع فالثقافة بهذا المعنى جماع السمات الروحيّة والماديّة والفكريّة والعاطفيّة التي تميّز مجتمعاً بعينه أو فئة اجتماعيّة بعينها " وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسيّة للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات " (6) . أي كلّ ما صنعه الإنسان واخترعه بيده وعقله ليحقّق ما ينشده من غايات عبر التفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع وعند توفّر أنماط اجتماعيّة مقبولة يستجيب الأفراد في ضوئها لحاجتهم البيولوجيّة والاجتماعيّة والإقتصاديّة وهي تنتقل من جيل إلى جيل في المجتمع وتتراكم نتيجة هذا الانتقال ، وهي محمّلة بالمعاني التي يعبر عنها الأفراد بلغتهم بما فيها من رموز " (7) .

ونظراً لانتساع مفهوم الثقافة فقد ظهرت دراسات عديدة وثيقة الصلة بها كعلم الثقافة وكعلم الأنثروبولوجيا الثقافيّة ، والتراكم الثقافي والتعبير الثقافي والصراع الثقافي والإحتلال الثقافي

## 2 - خصائص الثقافة :

تتسم الثقافة بجملة من الخصائص من بينها :

### أ - الإنسانيّة :

الثقافة خصيصة ثقافيّة ينفرد بها الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى لاسيّما وأنّه يميّز بعقله تلك البصيرة الباطنة التي تقدره على التمييز بين الأشياء وعلى الابتكار والإبداع والإضافة وعلى التكيف مع البيئة التي يعايشها وعلى نحت ثقافته بجمال .

فالثقافة بهذا المعنى نتاج للتفكير البشري إذ " الحيوانات الأخرى تعتمد في طرق حياتها على غرائز لذا حافظت على أسلوب حياتها دون تحوير منذ آلاف

السّنين بينما استطاع الإنسان أن يقلب طرق حياته فعُدَّ بهذا المعنى حيواناً ثقافياً" (8) .

ب - الإكتساب :

ليست الثقافة ظاهرة فطرية طبيعية أو غريزة مع الإنسان بل يكتسبها الفرد منذ مولده عن طريق التلقين والمشافهة والتدوين، وهي تنتقل من جيل إلى جيل عن طريق الإرث الإجتماعي أو التراث الثقافي ، خذ لك مثلاً إذا أخذنا طفلاً زنجياً ووضعناه في أسرة تونسية فإنّه يتكلّم اللّغة العربيّة لا لغة سلالته ، وبعبارة أخرى يكتسب ثقافة المجتمع التونسي من عادات وتقاليد وغيرها .

ج - متشابهة الشّكل :

تشابه الثّقافة في الإطار الخارجى أو الشّكلي ، ومهما اختلفت فلا تخلو أية ثقافة من العناصر التّالية :

\* العموميّات : النّظم العام أو العالمي للثقافة :  
وهي النّظم الثّقافيّة التي يشترك فيها كلّ أفراد المجتمع : مثلاً في كلّ مجتمع من المجتمعات يوجد نظام المحارم الذي يمتنع الزّواج من بعض الأقارب أصولاً كانت أو فروعاً وكذلك الأطر القانونيّة الخاصّة التي تمنع القتل والسّرقة وغير ذلك .

\* الخصوصيّات :

لا يمتنع نط الثقافة العام أو البدائل من أن تتميز كلّ جماعة داخل المجتمع بنظم وعناصر ثقافيّة خاصّة بها ، فثقافة الطفل غير ثقافة الشّاب وثقافة الشّاب غير ثقافة الكهل وثقافة البدو غير ثقافة الحضّر ...

\* البدائل :

وهي النّظم الثّقافيّة التي تطبّق في موقف معيّن ولل فرد حريّة الاختيار ، ومن أمثلة ذلك نظام الزّواج في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة ، فالمسلم يستطيع أن يتزوّد

ابنة عمه أو من غير أقاربه أو من فتاة لا تدين بالإسلام بشرط أن تكون كتابية ولا يستطيع أن يتزوج بوثنية .

#### د - الثقافة متنوّعة المضمون :

تختلف الثقافات من مجتمع إلى آخر إلى حدّ التناقض بحيث نجد أنّ النّظم التي يتبعها مجتمع ما ويعتقد أنّها فضيلة في حين تعتبر جريمة في مجتمع آخر ، مثال : في قبائل موريا بالهند تباح العلاقات الجنسية قبل الزواج بكلّ حرية بينما يعدّ ذلك جريمة في المجتمعات العربية الإسلامية ، وكمثال آخر يستطيع المسلم أن يتزوج بأكثر من زوجة في بعض البلدان بينما يعدّ ذلك جريمة يعاقب عليها الفرد في المجتمع الأمريكي حتّى وإن دان هذا الشخص بالإسلام ، ومثال آخر ، إذا حضر إلى أحد الأمريكيين وقت الغداء لا يدعى إلى الطّعام بينما يكون هذا السلوك شائنا وركيكا لأنّه يتناقض والكريم العربي .

#### هـ - الشبكية :

تتكوّن الثقافة من قطاعات أساسية وكلّ قطاع يتضمن مجموعات مختلفة من العناصر يمكن أن تميّزها عن غيرها من المجموعات مع ذلك فالعلاقات بين عناصر هذه المجموعات متداخلة (متشابكة) لا يمكن فصلها عن بعضها . هكذا نرى أنّ الثقافة أفكار وأعمال إذ الإنسان يقوم بإنشاء علاقة مع العالم الفكري والرمزي المتجسّد في اللّغة والدين والقيم .

#### و - الإجتماعية :

يختصّ كلّ مجتمع من المجتمعات بثقافة ما ، ولا يمكن أن تتصوّر مجتمعا دون ثقافة ، فليس هناك مرحلة معيّنة من تاريخ أيّ مجتمع إنساني لا وجود فيه للثقافة ، فهي بهذا المعنى تشابه الحرارة من حيث وجودها " فالفيزيائيون يقولون بوجود الحرارة في أيّ مكان ولا يقولون بوجود برودة لأنّ ما نسميه برودة ليس إلّا درجة حرارة معيّنة اعتدنا أن نصف لها ما لا يقلّ عن درجة حرارة أجسامنا ، "

فالثقافة ذات بعد إجتماعي لذا لا يقال عنها أنها فردية لأن عناصرها المختلفة لا يمكن أن يكون ذا طابع فردي ومن هنا جاء نعت الثقافة بأنها ذات صبغة اجتماعية وليس نتاجا لأفراد بل هي نتاج مجتمع ، وعليه "الثقافة هي فلسفة الإنسان والمجتمع معا وهي ليست كتابا منشورا أو نتاجا فكريا يمكن فصله عن السلوك ؛ وليست برجا عاجيا يعزل فيه المثقفون عن المجتمع ولكنها تفاعل متصل بقضايا الحياة في المجتمع وتعبير عنه وتوجيه له " (9) .

#### ز - الثقافة متغيرة :

تتغير ثقافة المجتمعات من وقت لآخر وتختلف درجة التغيير من ثقافة لأخرى ، فقد يكون التغيير ببطء شديد كما هو الشأن في المجتمعات البدائية وقد يكون سريعا كالحال بالنسبة إلى المجتمعات الصناعية ، ولئن استمرت الثقافة مع الأجيال ، فقد اختلفت على مر الأجيال في مكوناتها وفي انتظام عناصرها "حيث سادت بعض الثقافات الأوهام والخرافات ، وأخرى تميزها الأساطير وثالثة يسود فيها أنماط الحياة الرعوية والزراعية ورابعة تزدهر فيها الآداب والفنون والفلسفات " (10) . فالثقافة بهذا المعنى ليست إطارا ثابتا لا يقبل التعديل والتنوع بل هي نمط حضاري متغير متجدد مع تراخي الزمن وتقدمه ، والثقافة في تغييرها لا تقفز في حلقات منفصلة وإنما يتم هذا التغيير في التراتب المترابط والمنتقل على مر الزمان ، وفي استمرار الثقافة لا يعني أنها خالدة لا تموت فقد تموت الثقافة عند انقراض المجتمع الحامل لها سواء عن طريق الفناء أو الغزوات عن طريق اندماج مجتمع في مجتمع آخر .

الهوامش :

- 1 - الصحاح / المجوهري ص 84 .
- 2 - ابن منظور / لسان العرب - مجلد 1 - ص 365 .
- 3 - الجوهرة الفنية / اكتوبر 1995 - ص 5
- 4 - المرجع السابق - ص 5 .

5 - هذا ما أشار إليه برهان غليون بقوله : " حُظيت الثقافة في العصور الحديثة بتعريفات عدة تتردد هذه التعريفات بين مفهوم ضيق للثقافة يجعلها مقتصرة بالدرجة الأولى على النشاطات العقلية أو على الإنتاج الذهني العالي المستوى وبين مفهوم أقلّ ضيقاً يدمج في الثقافة كلّ النشاطات الذهنية والرسمية الحية والموروثة وبين مفهوم ثالث يحاول أن يربط الثقافة بكلّ النشاطات الذهنية والجسدية التي تخلق لدى جماعة ما " (برهان غليون / اعتبار العقل - ص 31 - تونس 1989) .

6 - تعريف منظمة اليونسكو للثقافة في المؤتمر العالمي الخاص بالسياسات الثقافية بمكسيكو سنة 1982 .

7 - سلسلة عالم المعرفة / عدد 163 - ص 25 . (وهناك تعريفات أخرى أوردها صاحب هذه الدراسة منها تعريف نيللر بكون الثقافة جميع طرائق الحياة التي صورها الإنسان في المجتمع : أي أنها عبارة عن علاقات معبّنة تؤلف بين الأفراد في المجتمع وتنظم وظائفهم الإنسانية التي تبني على أساس عقائدهم ومعايشتهم الأسرية والسياسية والاقتصادية والسلوكية والتربوية ...)

8 - الهيتي هادي نعمان / ثقافة الأطفال (سلسلة عالم المعرفة عدد 123) - ص 27

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

9 - مجلة المنهل - عدد 140 - ص 13 .

10 - عالم المعرفة / م.س. ص 28 .

\*\*\*

« الثقافة الجديدة التي نحن في حاجة إليها تلك التي تبرز قدرة الإنسان على تغيير واقعه بالمشاركة والتنظيم وهي تلك التي تكرم العمل اليدوي وتشجع التفاضل الواعي بالمستقبل وتعزز روح الانتماء إلى الإنسانية جمعاء فيما يواجه وجودها ومصيرها من القضايا ، لذلك فالمجموعة الوطنية مدعوة للمراهنة على الثقافة كبعد أساسي من أبعاد التنمية الشاملة وذلك بضمان حرية التعبير وتوفير ظروف الإبداع ووسائله » .

- عن الميثاق الوطني -



# الدولة

(في علاقتها بالمجتمع المدني والديمقراطية)

بقلم : محمد المهدي المهري

كثيرا ما يقع الخلط بين مفهومي : « الحكم » Pouvoir و « السلطة » Autorité من جهة ، ومفهوم « الدولة » من جهة أخرى ، وهذا الأخير يتضمن في معناه السياسي دلالة مخالفة لما يوحي به معناه الاشتقاقي من "دال " "يدول" ، فيفيد التحول وعدم الاستقرار ، أما المعنى الذي صار إليه ، فهو مرتبط أشد الارتباط بمفهوم المؤسسة ، بل أطلق عليها « مؤسسة المؤسسات » ( Marcel Pre-lot ) : وبدل التأسيس على الإستمرارية والاستقرار .

وبالرغم من أن الحديث عن « الدولة » يستوجب ضرورة الحديث عن « الحكم » و « السلطة » ، إلا أن هذين مصطلحين بصيغة شخصية ، أي يرتبطان بالقيادة ولهذا « فقد نشأ الحكم منذ أقدم العصور وإذا كان النفوذ الفردي من المساعدات المؤدية إلى نشوء الدولة ، فإن الدولة قد غيرت ما كان عليه النفوذ الفردي وأضافت إليه الكثير وأنقصت منه الكثير أيضا \* » ، أما « السلطة » ، فدلالة مفهومها أوسع مجالا أيضا ، فهي تشمل كل الفعل الذي يهدف إلى التحكم والتوظيف والتنظيم ، يعرفها M G Smith بأنها : « القدرة على الفعل في الأشخاص والأشياء والتأثير فيها ، باللجوء إلى مجموعة من الوسائل ، تتراوح بين الإقناع والقسر » . فما الذي أضافه - إذن - مفهوم « الدولة » ؟ ، « فقد أضافت الدولة إلى النفوذ الفردي مؤسسات توسع مجال قوة القائد ، ولكن يحد من السلطة ، وتبعا لذلك تتغير السلطة تغييرا عميقا » \* H Le febure إذ لم تعد السلطة ترتبط بالتجسيم المباشر لقوة التأثير ، وإنما أضحت مع الدولة مؤسسة على نحو منظم يجد في القانون مشروعيته وفي المؤسسة استمرارته .

ففي ظلّ الدولة يدخل الجميع تحت سقف فضاء سياسي وقانوني وتنظيمي واحد ، فإذا كانت الدولة استبداديةً فإنّها ستقتضي على كلّ نفس حيّ في المجتمع لتحرك الجميع إلى آلات تتحرك طبقا لقانون وضع للإستغلال وتأسيس الهيمنة .

## 1 - إشكالية مفهوم الدولة :

بضعنا الطابع المؤسّساتي للدولة أمام مشكل نظري : فهي تشمل في مجال نفوذها جميع المؤسّسات الإجتماعيّة ، دون أن تشملها أيّ مؤسّسة ، فهل يعني ذلك أنّ لكيانها وجودا خارج المجتمع ؟ .

يطرح ج . بوردو G Burdeau هذه المسألة بأكثر مفارقة وإحراجا ، قائلا : « ما من أحد رأى الدولة أبدا ، ومع ذلك ، أفي استطاعة أحد أن يُنكر أنّ الدولة واقع ؟ » : فعلاقة الأمر والطاعة ، يشهد بها كلّ مظهر من مظاهر الحياة ، ولكن كلّ هذا لا يبرّر وجود الدولة ، إذ ، ما تكشف عنه هذه التراتبية العمودية هو وجود سلطة إخضاع لا غير . فإذا لم تكن الأرض ، ولا السكّان ، ولا مجموع القواعد الإلزاميّة ، فما عساهّا تكون سوى « فهي معناها التام هي فكرة . وبما أنّه لا حقيقة للدولة خارج ما هو متصوّر ، فأنّه لا وجود لها إلا من حيث هي موضوع فكر » (ج. بوردو) . ولكن لا يجب علينا في الحقيقة أن نجعل من الدولة تجريدا بحتا لا علاقة له بالواقع الفعلي ، بل إنّها تستمدّ واقعيتها من مراكز نفوذها ، ومن الدور الذي تلعبه ، لذلك يقول ج. بوردو G Burdeau . مستدركا . « إنّ أيّ تحليل صادق لفكرة الدولة يأتي بجواب بقدر ما هو بسيط بقدر ما هو مشقّل بالنتائج : لقد اخترع النّاس الدولة كي لا يطيعوا النّاس » ، فالدولة ، هي الشكل من السلطة الذي يجعل الطاعة أكثر نبلا : إنّ سبب وجودها الأوّل هو أن تقدّم للفكر تمثيلا لأسس السلطة التي تحجز إقامة التّمييز بين الحكّام والمحكومين على أساس لا يستند إلى علاقات القوّة (ج. بوردو) . وإذا كان لها دور مؤثّر في سلوك الأفراد والجماعات ، وإذا كانت العامل الحاسم في إصباغ الوحدة على المجتمع بكل تقسيماته ، فلا بدّ إذن من الإقرار بأنّ الدولة هي « تركيب معقّد بين العنصر التجريدي والعنصر العيني » H Le febure .

فمن خلال مفهوم سلطة الدولة ووحدها يظهر الشعب بكلّ فئاته ، ويشقّ امتيازاته ، وبما بين أفرادهِ من اختلافات ، ككيان واحد له إرادة نافذة . وهذا ما يستدعي البحث في المشروعيّة القانونيّة للدولة ومعنى آخر : ما الذي يجبر الأفراد على التخلي عن حرّياتهم الفرديّة لخلق كيان تنسب إليه حرّية الفعل على حساب حرّياتهم جميعا ؟ .

## 2 - سلطة الدولة : في ميزان المشروعيّة والقانونيّة :

تحتّم على الإنسان أن يختار بين أن يقبل بعنف الدولة ، أو أن يفقد مدنيّته ويحيا الفوضى . فيندفع بالتّالي إلى ممارسة العنف متى سنحت له الفرصة وكلّما أمكن له ذلك ، وفي الإتّجاه المقابل عليه أن يستقبل العنف الممارس ضده من كلّ صاحب قدرة: وبما أنّ الإرادة في الإخضاع والرّغبة في التسلّط والهيمنة موزّعة على كلّ أفراد المجتمع : فإنّ العنف سيّطال الجميع والإضرار والتعديّ سيلحق بكلّ فرد . ولكن لماذا اعتبر عنف الدولة من بين جميع الأشكال الأخرى للعنف هو الوحيد الشرعي ؟ . ويعني آخر « ما الذي يعنيه هذا الأمر الغريب المتمثّل في أنّ الوجود السياسي للإنسان وجودٌ حقّقيّ ويوجّهه عنف هو عنف الدولة ، وهو متّسم بسمات العنف الشرعي ؟ » P Ricoeur .

تعتبر السّيادة من المقومات الأساسيّة لوجود الدولة « لأنّ زوال السّيادة يؤلّ إلى زوال الدولة ذاتها » ، ومفهوم السّيادة يتمحور حسب (ج. لافاريار) انطلاقا من ثلاثة ارتباطات :

أولا : في أنّ السّيادة تنبني على القانون ، لأنّها تمكّن قادة الدّول من الاختصاص ، الذي يسمح لهم باستصدار قواعد وأحكام قانونيّة يمثل لها الجميع اختيارا وطواعية أو قسرا (تحت الإرغام المادي والمعنوي) « فالدولة تتولّى مهمّة العقاب وهي مستأثّرة بقوة الرّدع » P Ricoeur .

ثانيا : في أنّ السّيادة سلطة أصليّة ، لأنّها تجد مصدرها في ذاتها ، فهي لا تتفرّع عن سلطة أخرى داخلية أو هي تكون تابعة لسلطة خارجيّة .

ثالثا : في أنّها سلطة عليا : فعلوّية السّيادة هي التي تسمح للدولة أن تتمتّع

بالمكانة الأولى في سلم السلط وأن تفرض الخضوع والإنصياع على السلط الموجودة داخل الدولة: « ذلك أن وظائف الدولة على اختلافها ، مثل سلطة سن القوانين ، وسلطة البت ، وسلطة التنفيذ ، ووظيفة التسيير الإداري ، والوظيفة الإقتصادية أو التربوية ، كل هذه الوظائف خاضعة . في نهاية المطاف . إلى سلطة الإرغام » P Ricoeur .

إن هذا الجمع بين « القانون والقوة » ، كعاملين أساسيين في تحديد كيان الدولة وفي تحديد وظائفها ، دفع بالفلاسفة إلى البحث عن مصدر آخر لها غير المصدر الأخلاقي ، لأنهم وجدوا من الصعب تصوّر مفهوم العدالة ، كما تصوّره أفلاطون أو أرسطو على أنه تجسيم لمبدأ أخلاقي أعلى هو « الفضيلة » أو « السعادة » ، يقول أرسطو في كتاب الأخلاق L'Ethique à Nicomaque : « مع أن الشخص المنعزل يهدف إلى الغاية نفسها التي يهدف إليها شعب بأكمله ... يوجد ما هو أكثر نبلا ورفعة في العناية بالسعادة الدائمة للشعب أو لدولة بكاملها » . ثم إن حياة الناس غير مستقرة ، ولا هي تسير على وتيرة واحدة أو موجهة نحو أهداف مشتركة ، بل هي مليئة بالتناقض والتنازع ... والمصالح فيها متناقضة ومتنافرة أشد التنافر ... وإن قيام السياسة على مبادئ أخلاقية لا يجد مسوغه في الواقع لا من جهة المحكومين ولا من جهة الحاكمين ، ولقد أوضح ذلك ميكافيللي أحسن توضيح في كتابه « الأمير » ، وكتاب « المطارحات » ، حيث بين أن السلطة لا تخضع لقواعد الخير والشر ، ولكنها تخضع للقواعد الموضوعية التي تفرضها متطلبات وجودها . ففضيلة السلطة ، تتمثل حسب رأيه في وجودها . وعلم السياسة هو علم هذه القواعد الموضوعية التي تكفل لها البقاء . ويظهر هنا ميكافيللي رائدا لدراسة السلطة أو القدرة كظاهرة سياسية قائمة بذاتها . (ال . د . حسن صعب) . ويقارن دوفرجيـه Duverger بينه وبين أرسطو فيقول : « لقد أوجد أرسطو العنصر الأول في علم السياسة ، وهو استعمال منهج الملاحظة . وأوجد ميكافيللي العنصر الثاني ، وهو المنهج الموضوعي المتجرد من الإهتمامات الخلقية » . فإذا لم تنشأ الدولة عن بواعث أخلاقية ، فليس لها أصلا دينيا ، بل إن الدين يوظف في غالب الأحيان لتأكيد سلطة الدولة ، بل إن الحكام في الدول

التيوقراطية قد أصبحوا على أشخاصهم وعلى سلطتهم مسحة من القداسة كي يجدوا في الدين تبريرا ومشروعية لاستبدادهم وفرض الوصاية على شعوبهم من ناحية ، وكي يتخلصوا من محاسبة المحكومين لهم ومراقبتهم لتصرفاتهم من ناحية ثانية .

## فما هو أصل الدولة - إذن - ؟

يعتقد « هوبز » بأن النظام السياسي هو اصطلاحى وطبيعى في آن معا : فهو اصطلاحى ، بمعنى أن الإنسان هو الذي أوجده ، وهو طبيعى لأن الإنسان إنما صنعه وفقا لمبولة الطبيعية . ويوضح هوبز هذه الأفكار في نظريته حول « العقد الاجتماعى » ، معتبرا أن الإنسان حر بالطبع ، وهذه الحرية تدفع به إلى إرادة ممارسة الهيمنة على الغير : فلو افترضنا أن الناس يعيشون على « حالتهم الطبيعية » ، فإن حياتهم ستؤول إلى فوضى وإلى حالة « حرب الكل ضد الكل » ، فلا بد إذن - بحكم ضرورة استمرارية الحياة - من إيجاد سلطة تدفع العدوان عنهم ونزع بعضهم عن بعض ، وتفرض القصر على الجميع ، وذلك في مقابل أن ترفع عنهم « حالة الحرب » ، « والسبيل الوحيد لإنفاذ هذا النوع من السلطة المشتركة ... هو أن يعهدوا بكل ما لهم من سلطة وقوة إلى رجل واحد أو إلى مجلس واحد ، حتى تصبح كل الإرادات الكثيرة إرادة واحدة .. » (كتاب التنين) . وهكذا يدخل جميعهم في حالة أخرى مختلفة عن « الحالة الطبيعية » هي « الحالة المدنية » ، وذلك في إطار مجتمع مدنى ينظم شؤونه القانون . فأصل الدولة - إذن - هو العقل والحاجة .

غير أن ما يعاب على نظرية هوبز هو تبريره العقلاني للإستبداد السياسي ، إذ أنه يدعو ضمناً وصراحة . كل المواطنين إلى التنازل عن كل حقوقهم لشخص الحاكم والخضوع لإرادته المطلقة عليهم : « ويسمى المؤمن على شخصبة هذه الجماعة صاحب السيادة ، وتوصف سلطته بالسلطة العليا ، ويسمى الآخرون جميعا رعايا » ، وهذا التصور للنتائج التي أسفرت عنها فرضية هوبز لبناء الدولة عقلياً يضيّق عن استيعاب مفهوم الدولة حسب التصور الحديث

القائم على ضرورة التمييز بين المجتمع المدني الذي يتوحد على أساس المصلحة المشتركة والخصوصية الثقافية ، وبين الدولة ككيان يستخدمه المجتمع لغرض تنظيمي وأمني .

### 3 - المجتمع المدني وحقوق الإنسان :

يعود الفضل إلى هيجل في التمييز بين الدولة والمجتمع المدني ، فهو يقول : « عندما نخلط بين الدولة والمجتمع المدني البرجوازي ، ونعین مهمة الدولة في تأمين الملكية وحمايتها وضمان حرية الأشخاص ، تغدو إذن مصلحة الأفراد من حيث هم أفراد ، الغاية القصوى التي من أجلها اجتمعوا ... غير أن علاقة الدولة بالفرد تختلف عن ذلك تمام الاختلاف .. » (مبادئ فلسفة الحق ) .

وتنشأ الدولة - حسب هيجل - عن اكتمال صورة « الأخلاق الموضوعية » ، حيث تتحوّل الأخلاق من مجرد أفعال خيرة صادرة عن إرادة حرة إلى منظمات ومؤسسات اجتماعية وسياسية . وأول صورة للأخلاق الموضوعية قبل أن تنشأ الدولة هي العائلة ، ثم يحدث انشقاق في الأسرة على إثر تقسيم الميراث ، فتنشأ على إثر ذلك الصورة الثابتة للأخلاق الموضوعية وهي المجتمع المدني حيث تنتظم علاقات التفاعل الإقتصادي والاجتماعي بين الأفراد . ويكفل المجتمع المدني للأفراد إشباع حاجاتهم للعمل وللحصول على الثروة ، فتنشأ الطبقات الاجتماعية كنتيجة لنظام تقسيم العمل ، ثم - وعلى إثر ذلك - مباشرة يقع الإلتجاء للقانون وللفعل التشريعي ، فتضبط الحقوق وتضاع مبادئ السلوك في قوانين يعترف بها الجميع ، وتقام المحاكم من أجل فض النزاعات بين الأفراد أو بينهم وبين الإدارة العامة ...

فاذا اكتمل كل هذا ، نشأت الدولة كغاية قصوى لهذا المجتمع ، وهي الصورة الثالثة الأكثر تطوراً للأخلاق الموضوعية . وهي عبارة عن الفضاء التجريدي الذي يمتص فيه التناقض بين الإرادات الفردية والإرادة العامة ، وبوجه الصراع والتنافس السائدين بين الأفراد في المجتمع المدني نحو غاية قومية تجسّمها الدولة ، يقول هيجل : « تمثّل الدولة بالنسبة للأسرة والمجتمع المدني ضرورة خارجية وقوة متعالية ، لكن تمثّل في نفس الوقت غاية الإثنين معا ،

تكمُن قوتُها في وحدة الغاية العامّة مع المصالح الخاصّة » .

ومن هذا المنطلق يظهر الاختلاف جلياً بين التصور الهيجلي للدولة في علاقتها بالأفراد وتصور الفكر السياسي الليبرالي لهذه العلاقة ، إذ أنّ هذا الأخير يجعل من رعاية المصالح الفردية وحمايتها غاية لجهاز الدولة ، وهي في حكم الوسيلة والأداة ، ولقد وجّه هيجل نقده إلى نظرية ج. ج. روسو دون أن يراعي التغيّرات العميقة التي تفتعل في الفكر الأوروبي شاهدة على انسجام أطروحاته السياسية مع التوجّه المتزايد نحو تأكيد حقوق الإنسان وتقديس الحرية الفردية ، ولقد « ارتكب هيجل خطأ كبيراً حيث لم ير أنّ مقدّمات الأنوار .. هي انعكاس لواقع قائم .. إنّ "نظرية التعاقد " تعبّر عن واقع ، ولا يكفي للتنبّل من الواقع الإستهزاء بالنظرية .. » (عبد الله العوري - مفهوم الدولة ) .

فالأساس في تفكير فلاسفة أنوار هو المجتمع وحقوق الإنسان ، أمّا الدولة فهو جهاز مصطنع يأخذ وضعه الطبيعي إذا كان في خدمة المجتمع المدني ويوظف لصيانة الحقوق وتوفير أقصى المكاسب مع فتح الفرص أمام الجميع بالتساوي وطبقاً لتشريع عادل غير منحاز . ولقد كانت المبادرة في التعبير عن هذه الأفكار مع ج. ج. روسو ، في نظرية للعقد الاجتماعي تختلف من حيث المنطلق ومن حيث النتائج عن نظرية هابز ، إذ أنّه ينطلق فيها من فرضية : أنّ الإنسان في « حالته الطبيعية » ، يتّصف بالبراءة القانونية ، لأنّه لا يحمل في ذهنه معنى للخير ولا للشر ، والذي سيدفع به بصورة ضمنية إلى إبرام عقد اجتماعي مع أفراد المجموعة التي سينضم إليها هو الحاجة إلى الاجتماع بفرض الإحتماء بقوة المجموعة من الأخطار المحدقة به وكذلك الإستعانة بهذه القوة على توفير ما يحتاج إليه في معاشه . ولتحقيق هذه الأهداف في إطار المجموعة يبرم الجميع عقداً ضمناً يتجسّم في ظهور شكل أو نظام سياسي يكون مشدوداً إلى الإرادة العامّة (التي تتعيّن بالمصلحة المشتركة ) ، وطبقاً لهذا النظام السياسي توظّف قوة المجموعة لخدمة مصالح كلّ فرد من الأفراد . فمشكل الدولة في نظرية ج. ج. روسو يطرح كالآتي: كيف يمكن « الإهتمام إلى شكل من أشكال الاجتماع توظّف فيه قوة المجموعة بأسرها لحماية كلّ عضو من الأعضاء والدّود على أملاكه ،

وبهذا الضرب من الإجتماع يستطيع كل امرئ أن ينضم إلى المجموعة كلها ، ولكنه يظل في الوقت ذاته حراً ، بالكيفية التي تلائم طبيعته ككائن حر ، فلا يخضع إلا لسلطان نفسه ؟ هذه هي المعضلة الأساسية التي يوجد العقد الإجتماعي حلاً لها . « ولا شكل للدولة تُحمى فيها حقوق الأفراد وتراعي مصالحهم ، أفضل من النظام الديمقراطي .

وهكذا تعتبر نظرية «العقد الإجتماعي» نظرية ثورية في المجال السياسي ، إذ بينت أن الحكم الوراثي إنما هو توارث للإستبداد ، لأن فكرة توارث الحكم لا تتفق مع أدنى تصور للكرامة البشرية ، لأن الميراث قد يشمل الأشياء ، وفي أقصى حالات الحيف قد يشمل العبيد ، أما أن يشمل مواطنين يفترض أن يكونوا أحراراً فذلك يعدّ منتهى الإذلال والتعدي على الحقوق الإنسانية ، واستخفاف بالأحرار . ثم إن هذه النظرية قد نزعَت أيضاً عن الحاكمين ، « السند الديني » ، الذي كانوا يلجؤون إليه باسم «الحق الإلهي» ، وذلك لتكريز سلطانهم ، وتبرير استبدادهم وطغيانهم ، وتقديم أنفسهم كأرباب يخلقون الله على الأرض ، يسألون الناس ويقاضونهم وهم لا يسألون ولا يُحاكمون . وهكذا ، تكون الدولة قد وُجِدت بمقتضى «العقل الحسابي» ، حسب هوبز ، وبمقتضى الحاجة إلى الأمن ورعاية المصالح وحماية الحقوق حسب ج. ج. روسو ، وفي النهاية فهي تقوم على مبدأي الحاجة والعقل : الحاجة إلى التكافل والتعاون والأمن وصد العدوان .... ، والإستهداء بالعقل في تشريع القوانين وإقامة مؤسسات تنظيمية ، فحسب هذه النظرية « بدا الإنسان كما لو كان السيد الأوحَد في مجال تشريع القانون» (A. Arent) . لذلك وضعت الحقوق الطبيعية للإنسان . في نظرية ج. ج. روسو : كالحرية ، والمساواة ، والكرامة ، والإنتفاع بجزايا تطبيق القانون وبالثروات الطبيعية للبلاد بالإنصاف ، والمساواة بين كل أفراد المجتمع .... ، وُضعت فوق كل اعتبار ، بل هي الموجه في إقرار القوانين أو في إلغاء العمل بها .

#### 4 - الديمقراطية :

من الخطأ الاعتقاد بأن « الديمقراطية » هي من إنتاج العبقريّة الأوروبيّة ، وهي



تنسجم مع طبيعة الإنسان الأوروبي ومع خصوصياته الثقافية ، ومن الخطأ الاعتقاد أيضا بأن الديمقراطية ثوب فضفاض يمكن أن يتقمصه أي نظام سياسي . ويتضح ذلك بسهولة مفرطة بمجرد أن نكشف عن هذا التعريف المبسط لها على أنها : « طريقة ذكية لأخذ الموافقة من المحكوم على حكم الحاكم له ، يختاره من بين مرشحين أو أكثر ، وذلك دون ممارسة الوصاية عليه أو الضغط أو الإرغام ، أو منع الإختيار عنه بتوجيه نحو شخص واحد . وأضيف ، أن عامل الأغلبية هو الحاسم في عملية الموافقة باعتبار أن زيادة الأصوات تتناسب مع القدرة في المحافظة على المصالح المشتركة ، وتُفقد هذه الأصوات بقدر التفريط في هذه المصالح » .

وهكذا يظهر أن الديمقراطية تعبر عن حالة من التعايش السلمي بين قوى مختلفة في المجتمع ، وهي تنشأ على إثر إدراك الفكر السياسي مستوى معين من الوعي يمكنه من إقرار نظام عقائلي هو الأرقى في تنظيم الحركة الاجتماعية . وتتمثل ميزته في حماية المجتمع من الإضطراب والفن مع المحافظة على حيوية التنافس بين مختلف القوى ، وهي معادلة صعبة لا يتحقق إلا في ظل نظام ديمقراطي يدل على مستوى راق من الإنسانية .

والأنظمة الإستبدادية ، إذ ينحصر أمر التسخير فيها ، في شخص واحد أو حزب واحد ، فهي - في الحقيقة لم تغادر بعدُ المستوى الحيواني ، حيث إنه الأقوى فيزيولوجياً يُخضع الأضعف لإرادته ، وقانونه هو القوة والعنف ، أو بمعنى ثان العنف هو قانونه ، وبمعنى ثالث يكون القانون امتدادا لعنفه . وهكذا يكون للأقوى "حق" السيادة ، بحكم قدرته على التسخير والإذلال . والانتقال من النظام الذي يقوم على "حق" الأقوى ، إلى النظام الذي يقوم على قوة "الحق" ، هو انتقال من الحيوانية إلى الإنسانية ، ومن الطبيعة إلى العقل ، ومن الإخضاع بالقوة والعنف إلى الإحتكام إلى القانون ، وأخيرا من العبودية إلى الحرية .

ثم يجب أن تعلم أن الديمقراطية شأن خاص ، بتحقيقها يكتسب الشعب (بما هو ذات) ، الحرية والإستقلالية ، ويُغلق أبواب الطمع والإبتزاز والتسخير عنه . وكما أن الإنسان يميل من حيث طبيعة ركبته فيه إلى توظيف غيره لأغراضه

واستخدامه في قضاء شؤونه ، وذلك متى شعر بأن له القدرة على السيطرة عليه والتحكم فيه ، فإنّ الدّول لها نفس الميل ، ولا تتأخّر القوّة منها أبداً عن تسخير غيرها وتوظيفه لمصالح خاصّة كلما قدرت على ذلك . ومن ثمّ يجب الإنتباه إلى أنّ الديمقراطية التي يفرض تطبيقها على دولة ما ، من دولة (أو دول) أخرى ، هي حيلة من هذه الدّولة لفرض الوصاية أو لبعث الفتنة والإضطراب أو السّعي في تقسيم السّلطة وتجزئة الوطن .

ونظراً لهذه المزايدة الخارجيّة على الديمقراطيّة ، وتهديد الأنظمة الإستبداديّة بفرضها عليها إذا لم تخضع لإرادة التّوظيف ، يجب أن تختلف طريقة التّفكير السّياسي حول الديمقراطيّة بين المفكرين الذين ينتمون إلى دول مهيمنة عن الذين ينتمون إلى دول واقعة تحت نير الهيمنة ، وذلك لتقابل اتّجاه إرادتي كلّ منهما : فالإرادة الأولى تبحث عن منافذ للسيطرة والإستغلال واحتواء كلّ معارضة ، من شأنها أن تحول دون اختراق إرادة النّفوذ العسكري أو الإقتصادي أو الثّقافي للشّعوب المستضعفة ، ثمّ القضاء عليها . أمّا الإرادة الثّانية فهي تمجّد لحماية الذات ولدفع الإستغلال ومقاومة التسلّط ورأى تأثير النّفوذ الخارجي .

ولهذا السّبب يجب أن تأخذ الديمقراطيّة المتسجّمة مع الإرادة الثّانية هذا التعريف المعدّل (وهو ما يجب أن يتعقّله المشقّف العربي) : « تكون الدولة ديمقراطيّة إذا سمحت حكومتها بتحرير المنافسة على الحكم بين أحزاب مختلفة ، لها برامج سياسيّة متباينة ، تتفق مع الدستور وتستمدّ أصولها من المبادئ الوطنيّة المميّزة والمعبرة عن الهويّة المجسّمة لمخصائص الشعب مثل اللّغة والدين والثّقافة الخاصّة المتميّزة عن غيرها » .

فاذا لم توجد أحزاب مختلفة ، فلن يعود للديمقراطيّة أيّ معنى ، والأحزاب المختلفة هي بالضرورة أحزاب متنافسة ، لأنّ الاختلاف يؤدّي إلى التنافس ، غير أنّ هذا الاختلاف يجب أن يتقيّد بالهويّة العامّة للشّعب ، فإذا كانت الدّول المهيمنة تعصم نفسها وبنيتها الداخليّة انطلاقاً من قوّة تأثيرها في الآخرين ، فإنّه لا عاصم للشّعوب الضّعيفة إلّا في التشبّث بهويّتها فهي بمثابة جدار المناعة بالنّسبة للجسم . أمّا إذا لم تقيّد الأحزاب بالهويّة ، رضوخاً إلى الضغوطات

الخارجية ، فستتحول الكثير من الأحزاب والمنظمات التابعة لها إلى أوكار لتصنيع العمالة والخيانة والجوسسة والمغرضين الحاقدين .

والتنافس بين الأحزاب هو الموضوع الذي وجدت الديمقراطية لأجله وذلك بتغذيته وتنظيمه وفتح الفرص بالتساوي أمام الجميع ليكشف الأفراد عن قدراتهم في مجال للسباق مفتوح ، وذلك طبقا لتشريع عادل من القوانين .

فإذا ما ضعفت حدة التنافس في المجتمع دل ذلك على أن الحياة بدأت تخبر وجذوة الإرادة أخذت في الإنطفاء ، وإذا حدث ذلك فأننا سنلاحظ - في تناسب عكسي - أن أهمية الدولة ستتعاظم وستلقي بأصابع سلطتها واستبدادها في كل ناحية وفي كل موضع ، وبهذه الصورة تبتدئ الموازين في الانقلاب شيئا فشيئا : فعوض أن تكون مؤسسات الدولة ورجالها في خدمة المجتمع المدني ، يصير هذا الأخير خادما لمؤسسات الدولة وللمشرفين عليها ، ويتحول الشعب إلى قطعان من الأغنام تحرسها كلاب مسعورة ، تأكل من بعضها إذا ما جاعت (وإن كانت لا تشبع أبدا) ، ويقدم آخرون كأضاحي في مذابح القضاء ، أما البقية فينتفع بيوهمها وصوفها وحليها ... فتحوّل في شكل آداءات مختلفة ورسوم ...

لتفادي ذلك يجب أن يهيأ المجتمع للدفاع عن نفسه ، ولا يكون ذلك ممكنا إلا عندما تبلغ فيه القوى المختلفة مستوى من التوازن ، بحيث يعصم ذلك الشعب من خطر هيمنة حزب على البقية وجرّها إليه غصبا أو اختيارا : وتُدرك هذه الحالة من التوازن عند وضع شؤون الدولة تحت مراقبة المؤسسات المدنية والشعبية ، أو عند مراقبة الأحزاب بعضها لبعض ، أو مراقبة مجموعها للحزب الحاكم ، أو مراقبة مجموعة من الأحزاب الصغيرة المؤتلفة لحزب أقوى وأكبر ... ويتحتم دائما أن تتوفر للمجتمع المدني وسائل كافية لردع الحكومة إذا ما أرادت الانقلاب عليه ، وبالتالي إعادتها إلى القيام بالمهام التي لأجلها انتخبت أو استبدالها بحكومة أخرى . فإذا لم تكن للمراقب سلطة كافية للضغط ، فإن المصير المحتوم الذي ينتظر الشعب - والذي لا محيد عنه - يتمثل في أن تهيمن الدولة على الجميع فتقيّد كل حركة وكل فكر وتقلي على الناس آمالهم وطموحاتهم

وتقسّط عليهم أنفاسهم ، ثمّ إنّها تصهر كلّ القوى في قوّة واحدة يمثّلها الحزب الحاكم .

والدولة بكلّ مؤسساتها هي . في الحقيقة . آلة عظيمة يصطنعها الشعب لحماية نفسه من عوامل التفكّك ومن المؤثرات الخارجية السلبية ، فتكون بهذا الشكل بمثابة الدرع أو آلة الحرب التي تقي المقاتل طعنات الأعداء ، وتجد هذه الآلة محرّكها وعقلها المدبّر في المجتمع المدني بما يزخر به من منظمات شعبية ومن مفكرين ومثقفين وطنيين ، وأنّ القرارات الرئاسيّة والحكوميّة تُطبخ في المحافل الديمقراطيّة أو على مائدة موسّعة للتشاور بين مختلف الأحزاب والهيئات والمنظمات ...

أمّا إذا مُنحت هذه الآلة العملاقة إرادة مستقلّة ، يعود إليها . هي فقط . الأمر والنهي والتدبير والتقدير ، فإنّ المشرفين عليها سيشكّلون طبقة اجتماعيّة تأخذ في الإستقلال عن الشعب شيئا فشيئا إلى أن تتحاز في كيان واحد ، وتتحوّل إلى « دودة » عملاقة من « العلق » تكون ملصقة في جسم المجتمع وتقتات من دم الشعب وتتضخّم على حسابهِ ، وكلّما عظمت أكثر إلاّ وضعف الشعب أكثر وبدأ يفقد قدراته الفكرية والثقافية

وتفسير ذلك : أنّ الدولة إذا لم تجد مجالا خارجيا تتحرّر فيه إرادتها باعتبارها امتدادا لإرادة الشعب ، وذلك بسبب الضغوط الخارجية الدائمة ، والقوى الكثيرة الموجهة ضدها (باعتبارها تمثّل إرادات الدول الأخرى ) ، فإنّ هذه الإرادة سترتدّ حتما على الشعب لتفعل فيه سلبا ، وستمدّد بقوّتها ويسلطانها في الداخل إلى حدّ تقييد كلّ حركة ومراقبة كلّ كائن حيّ ومنع التفكير الحرّ ، ثمّ إنّها تضرب على الجميع نظاما عبوديا صارما ويسخر الشعب لخدمة القائمين على الدولة . والذي سيقف بالمرصاد لهذا الفعل السلبي للدولة فيردّه إلى الخارج ، هو المجتمع المدني بما له من سلطة تتجسّم في الأحزاب والمنظمات الشعبية والمؤسسات الإجتماعيّة المختلفة والمثقفين الوطنيين (غير المنبئتين ) والمفكرين ..

# الزردة أو الحفل المحلي :

## الوظائف الإجتماعية

بقلم : د . عبد الوهاب الشارني

نسعى في هذه الورقة إلى رصد خصائص الحفل الديني الإجتماعية ودوره في ممارسة الرقابة والإلزام على الأفراد والجماعات . وذلك من خلال زردتي سيدي رابع وسيدي عمر بن زغيد بجهة الكاف . وباعتبار الزردة ممارسة اجتماعية تتوفر فيها خصائص الحفل المختلفة كالمشاركة الجماعية والغليان الجماعي ، و"تحرر" الإنسان من اليومي والعادي (1) وخرق القواعد التي تنظم الحياة الإجتماعية أحيانا . وكذلك لأن الحفل (الزردة) ممارسة تأخست على عدة ثنائيات : القاعدة والأقاعدة ، الديني والدنيوي ، الجسدي والروحي ، العجيب والعادي .

### 1 - في مفهوم الحفل :

شكل الحفل مفهوم متغير ومتعدد الأبعاد ، للإشارة إلى دلالات مختلفة المعاني . فاهتم البعض بالأسطوري وتكلم هوبير Hubert عن المسرحي : أما ر . كابوا R Caillons وم . إلياد Eliade فقد وجدا في الحفل الديني بعدا استيعاديا يسترجع الماضي السحيق والنموذج الأول Archétype الذي تأسست عليه التجربة الحالية . بهكذا تصور يخرج الحفل حسب ر . كابوا وم . إلياد عن القاعدة إلى الأقاعدة وعن الحالي إلى المنقضي .

وقد يستقطب الحفل الإهتمام بالفرنولوجي كما يستقطب الإهتمام بتحرر الغرائز من الرقابة الإجتماعية ومن ضغط الحياة اليومية المتجدد .

---

DURKHEIM (EMILE) Les formes élémentaires de la vie religieuse Quadriège - 1  
PUF 1990 p 547

2 - باحث في علم الاجتماع . بتونس .

إنّ مقاربات عديدة تتناول الحفل بالخصوص الدّيني منه وإن كان للحفل اللاّئكي من الخصائص ما يقرّبه من الحفل الدّيني . إنّ في كلتا النّمتين خصائص احتفاليّة واحدة : الصّباح ، الغناء ، الموسيقى ، الحركات العنيفة ، الرّقص (1) . وفي الحفل الشّعبي (2) يحمل السّياق الإحتفالي إلى ما بعد القاعدة إلى إزالة الحدود الفاصلة بين المباح والمنعوت خاصّة فيما يتعلّق بالجنس (3) حيث يصبح التّسامح قاعدة هذه الممارسة ويعزى ذلك إلى المقدّس وإلى إشراف الصّالح أو الولي على مثل هذه الممارسات . وهكذا يوفّر الحفل حقلاً خرق القاعدة المنظّمة للحياة الجنسيّة في المجتمع .

وسؤالنا في هذه الورقة هو أن نتبيّن مدى تمكّن ممارسة الزردة باعتبارها حفلاً دينياً محلياً في ممارسة الرّقابة وإلزام القاعدة أو خرقها .

## 2 - الزردة والحفل : خصائص عامّة :

تقدّ جذور هذا المصطلح إلى الأصول البربريّة (4) لكنّه يتضمّن بعداً احتفالياً وبعداً قدسياً محلياً . والزردة أنثروبولوجيا هي ممارسة طقسيّة تندرج ضمن نظام طقوسي متعدّد المظاهر لذلك فهي في المجال الشّعبي والجنس العام ترتبط بالوعدة والزّيارة وهما طقسان محليان يؤدّيان في فناء الصّالح والأولياء الصّالحين . لكن المعنى الذي نطلق منه في مقاربتنا هذه هو اعتبار الزردة ممارسة جماعيّة محليّة تربط الجماعة برمز روحي مؤسّس وتكرّس غمطاً من الإعتقاد الشّعبي .

فالزردة في تصوّراتنا ومن خلال ملاحظتنا الأنثروبولوجيّة هي طقس شعبي بهمّ الوسطين القروي أو الرّيفي وإن كانت هذه الممارسة تعني سكّان المدن والحواضر وتستقطب اهتمامهم . ويدمج الجماعة في وحدة ممارسة جماعيّة ذات خصوصيّة محليّة تتجاوز المعايير الطبقية والتعليميّة والسّياسيّة . فالزردة حدث محليّ يشدّ الجماعة لرمز مؤسّس أو مرجع موحد ينزّه عن الجماعة وتضفي عليه هالة من القداسة ، فلا يستثني فئة أو أفراداً من الجماعة المحليّة .

2 - والمصطلح لدير كهّام

Ibid - 1

Ibid - 3

4 - طوالي (نورالدين) لدين والطقوس والتغيرات وجيه البعيني بيروت 1958 ص 133.

لكن ممارسة الزردة وهي ممارسة جماعية رقابية تهدف خاصة إلى التحكم في الجماعة وتجهيد رقابتها لها عبر نظام طقوسي فما هي مظاهر هذا التحكم ؟ .  
إن عناصر احتفالية أساسية تتوفر في طقس الزردة وتتأسس عليها احتفالية هذه الممارسة خاصة في المجتمع القروي (\*) ونعرض فيما يلي هذه العناصر :  
- الشخصية الروحية أو الدموية المؤسسة وهي شخصية تتوفر فيها خصال تعلقت بها الجماعة كالتضحية والورع والتقوى وحب الناس ونجدة المظلوم وغير ذلك من الخصال .

- المكان المقدس : لممارسة الحفل .

- زمن معين ، وهو بالتالي زمن غير عادي ، يختلف في تحديده من جماعة إلى أخرى وعادة ما يلتزم الحفل في أواسط الحريف أو بدايته أو في أواخر الربيع .  
والزمن في مختلف الحالات يعبر عن نمط الحياة الفلاحية بالخصوص في القرية والدواكر وعن إيقاع اجتماعي خصوصي . إنه إذن زمن اجتماعي رغم الإحتفالية التي تميزه عن الأيام أو الأزمدة العادية في المجتمع المحلي .

- الأضحية : ونميز في هذا الصدد بين الأضحية الجماعية (ثور مثلاً) التي تقدمها عائلة موسعة أو الأضحية التي تقدمها العائلات الصغرى (خروف ، كبش ، جدي) وقد تختلف الممارسة الاجتماعية فتكون الأضحية العائلية الصغيرة أحياناً ثوراً أو غيره .

- المرح الجماعي : ممارسة الألعاب الجماعية والفردية ، كالفروسيّة والرمي والرقص والغناء والإنشاد الديني والرقص الصوفي (الحضرة) .

تتضافر هذه العناصر في الزردة لتؤدي وظيفة ما سماه إدريكهايم إيقاض حالة روحية لدى المحتفلين (1) وعلى تجهيد علاقة الجماعة بالجدد المؤسس (النموذج الأول) واستلهاهم المعنى والقوة والميراث من هذا النموذج وإضفاؤها على حاضر الجماعة . فالجماعة قائمة لكن أسسها في النموذج الأول ومن هنا اعتزازها بالزردة وإلزامية ممارستها .

DURRKHEIM (E) p 552 - 1

\* لأن ما يعتبره الفاعلون زردة في المدن ممارسة محدودة في المساحة وعدد المشاركين . فهو حدث لا يتعدى العائلة المحدودة .

منجهة أخرى تهدف الممارسة الجماعية للحفل إلى تجديد اللحمة الجماعية وتأكيداتها وإلى ممارسة رقابة الجماعة على نفسها وعلى لحمتها خوفاً من التشتت والإندثار تحت تأثير إيقاع الحياة الاجتماعية السريع والتهدمي .  
إذن يمكن أن نعتبر أن لكل عنصر من عناصر الزردة وظيفة رقابية معينة سنحاول الإحاطة بها من خلال رصد هذه الوظائف .

### 3 - الزردة : أهم الوظائف الاجتماعية :

#### 1 - الوظيفة الدينية :

الصالح في القرية أو الدوار شيخ ورع متدين، يفسر القرآن ويقرّ به من الفلاحين في عالم يجهل الكتاب . ويقوم بذلك في فضاء متميز يصبح زاوية بعد أن يموت .  
هذه المرتبة الدينية تسمو بالصالح عن الجماعة العادية إلى مرتبة أخرى يصبح فيها قادراً على إدراك الغيب والسيطرة على الخفي والتحكّم فيه . فيقتلع الشيخ ولاء الجماعة فتضفي عليه القدسية . وتصبح الجماعة ملزمة بالإعتراف به وتكريس هذا الإعتراف وتجديده .  
فالزردة التي تقام موسميّاً هي تجديد للإعتراف بالجماعة بهذه المكانة التي كانت بالأساس اجتماعية ثم أضفيت عليها هالة من القداسة . فالصالح يلجؤ إليه للتقاضي وحسم النزاعات الناجمة عن العلاقات بالأرض والرعي والزواج والعمل وغيرها . لكن هالة القداسة تدعّمها عوامل أخرى كالنسب الشريف ومثل هذا العامل يمثل مصدر اعتزاز لدى أتباع سيدي رابح(\*) حيث يعود نسب هذا الصالح إلى عثمان بن عفّان وقد تندعم قدسية الصالح بما يقوم به من عجب لنجدة "المظلوم"(\*) وتعيين السارق ومساعدة "المغلوبين"(\*) . ونظراً لهذه القداسة تصبح الزاوية مكاناً يقصد للتعبّد وقراءة القرآن وتعلّمه وكتابته . وهكذا تصبح مكاناً متميّزاً منزّهاً عن الأماكن الأخرى . لذلك تقام الزردة في الزاوية .

---

\* تقع زاوية هذا الصالح جنوب ساقية سيدي يوسف على الحدود الجزائرية من ولاية الكاف .  
\*\* كلمات محلبة بـسيدي عمر زغيد تصف قدرة هذا الصالح وخصاله ويحكى أنه جعل جدّيا يصرخ في بطن صاحبه السارق وهي طريقة عيّن بها الصالح مرتكب السرقه .



## 2- المقدّس وتصنيف الزّمان والمكان :

إنّ الزّردة زمن متميِّز وغير عادي . إنّه زمن مقدّس لذلك يتعطّل العمل والنّشاط اليومي ليتفرّغ النّاس لشكل آخر من الحياة (1) خلال زردة سيدي رابع يترك العديد من أتباع الزاوية القاطنين جتونس أو مدن أخرى أعمالهم (أطبّاء ، محامون ، معلّمون ، مهندسون ...) للمشاركة في الزردة والإلتقاء بالأقارب والأجداد وتجديد العهد مع البدايات . وفي القرية التي تحمل اسم الصالح سيدي رابع يترك التلاميذ المدرسة إحتفالا بالحدث . ومن خارج الوطن يبرق المهاجرون بالرسائل والمكالمات الهاتفية مهتئين بالأهل بالزردة .

إنّ الحفل في نظرية م. الياد زمن لا اجتماعي إنّه زمن الخلق والبداءة (2) . وفي سياقنا الشرقي وفي التجربة الإجتماعية المغربية خصوصا تشكّل الزردة حدثا لاستعادة البداءة وتذكّرها . هذه البداءة التي ترتبط بشخصية مؤسّسة وفاعلة في تحديد الجماعة ومساحتها . لذلك نجد في العديد من الزوايا شجرة نسب .

ولزمن الزردة دلالة اجتماعية تعبّر عن إيقاع الحياة المرتبط بالنشاط الفلاحي . فالزردة تنعقد في منتصف الخريف أو بدايته استعدادا للموسم الفلاحي واحتفالا بانقضاء موسم الحصاد وتنعقد أيضا في نهاية الربيع استعدادا لجني وجمع المحصول في الصّيف . فتكون الزردة رمز خير وبركة . هكذا إذن يؤدّي المقدّس المحلي عبر الزردة وغيرها من الطقوس وظائف اجتماعية لا علاقة لها بالدين كرسالة كونية أو كقيم عامّة .

كذلك بالنسبة للمكان . إنّ التّصوّر الشعبي يحمل رؤيا تصنيفية للمكان على أنّه ثنائية : مكان مقدّس ومكان دنيوي (3) .

من خلال ما تقدّم نتبيّن الوظيفة الرقابية لطقس الزردة إنّ هذا الحفل يستوجب مكانا وزمانا . إنّه يقوم على بداية ومساحة قد تكون موضع صراع أو كانت كذلك في صراعات القبائل والمجتمع القبلي والدولة . فرقابة الجماعة إذن مقيّدة ببعدي

1 - CAILLOIS (ROGER) l'homme et le sacre Galli mard 1950 p 132

2 - ELIADE (MIRCEA) LE SACRE ET LE PROFANE Galli mard 1965 p 60

3 - Ibid

المكان والزمان ويبعد هوية الجماعة(\*) والمخيال المحلي يولي هذا التصنيف اهتماما خاصا فالزاوية والجماعة المحلية يشكلان أسس الهوية . إهما أساس الرقابة . لذلك فكل زاوية تحيل على مكان للجماعة وعلى زمان بدايتها وتحيل على رمز مؤسس(\*) تتبعه جماعة تحمل اسمه : أولاد سيدي عبيدي أولاد الحاجة خديجة ، أولاد سيدي رايح ... الخ .

### 3- الزردة : اللمة : تحديد اللمة الجماعة القراصة وإعادة تشكيل المفكك :

انعقاد هذا الطقس لا يرتبط فحسب بتجدد الموسم الفلاحي أو بانقضائه بل هو أيضا حدث يلتقي خلاله أفراد الجماعة الواحدة وهي عادة جماعية قرابية بعد أن شتتها الحراك الاجتماعي والعمل والهجرة والنزوح .

فالرقابة التي كانت تمارسها الزاوية على الأتباع في مجال مكاني معين وبطقوس متجددة . هذه الرقابة هدتها التحولات الناجمة عن مسار التحديث والتنمية . ولعل أهم عامل مهدد هو تحويل الولاء من الشيخ إلى الدولة . فالدولة الوطنية احتكرت الولاء والرقابة فككت الجماعات القبلية وخاطبت الفرد بدل أن تخاطب الجماعة القبلية والتقليدية (1) وفق ايدوبولوجيا جديدة ربطت الفرد مباشرة بالدولة وألغت الولاءات المحلية وخاصة الدينية والقبلية التي تتمتع بنفوذ روحي ورمزي كبيرين بخلاف لها لعب أدوار سياسية وإدارية هامة وممارسات رقابية تنافس الدولة وتهدها أحيانا .

وبالمقابل استمرت الزردة مظهرا لولاء تقليدي محلي بالأساس لكنه يتم تحت هالة قدسية وتكريسا لنمط من الاعتقاد . هذا الحفل المتجدد سنويا يجمع أبناء العرش في ممارسة موحدة . إن الزردة تعيد تشكيل ما فككته التحولات من أواصر وروابط وولاء . فتبعث في المحتفلين الإعزاز وتكرس تجديد اعترافهم وولائهم للأصل والبتاية ما دام الحفل اعتراف لرمز مؤسس .

---

\* هوية الجماعة تتمسك بالزردة . وترفض أحيانا المهرجانات التي قامت بها الدولة الوطنية تعويضا للزردة .

\* من هذه الرموز نذكر : سيدي رايح ، الحاجة خديجة .

1 - Baduel(Pierre Robert) Etat et terroirs au Maghreb annuaire de l'Afrique du-

nord n 12 1983 éd CNRS 1985 p 32

#### 4- الأكل الجماعي : تأكيد اللحمة الجماعية :

إن الأضحية في هكذا سياق بعد أساسي من أبعد الحفل وإن كانت إلى حد ما حاملة لبعد طوطمي كالالتزام أفراد العشيرة الواحدة اتجاه بعضهم البعض واتجاه القبائل الأخرى (1) .

إن الأضحية أيضا. في الزردة التزام جماعي وهي ممارسة إلزامية : في سيدي رابح كل أسرة ملزمة بخروف للأضحية. هذا الطابع الإلزامي المحلي يفوق وقعا وتأثيرا الطقوس الرسمية مثل عيد الإضحى (حيث يحدث أن لا يقدم أحد أو أكثر أضحية العيد لكن أضحية سيدي رابح إلزام لا يستثنى أحدا) .

هذه الممارسة الإلزامية توحد الجماعة في الإعتراف والولاء للجد أو لصالح من الصلحاء (\*) ومن جهة أخرى يجسم الأكل الجماعي وحدة الجماعة . فالأكل مشترك والرمز الروحي والقرايبي مشترك لذلك يؤدي الفطور الجماعي وظيفة تأكيد ولاء الفرد للجماعة وتأكيد التزامه بها . وقد عير البعض عن ذلك بالتمالح (تناول الماء والملح) . وهو ما من شأنه أن يدعم الروابط بين المحتفلين ويحددها . فدم الأضحية ولحمها هو دم القبيلة ولحمها لذلك تتردد كثيرا عبارة "دمي ولحمي " في وصف علاقات القرابة في الشمال الإفريقي وفي المجتمع التونسي بالخصوص .

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

هذه إذن أهم وظائف الحفل المحلي (الزردة) فيسما يتعلق برقابة الأفراد وآليات الرقابة كما يعيشها الناس أو الاتباع أنثربولوجيا أي من خلال نظام الطقوس والمعتقدات والعادات . وهي اليوم رقابة منحلّة في رقابة أوسع هي رقابة الدولة وأنها انزاحت تماما وتحوكت إلى ممارسة اعتقادية وروحية أكثر منها رقابية لكن الحفل المحلي أو الزردة باعتبارها طقس شعبي تؤدي وظائف أخرى نفسية اجتماعية . فالحفلة كما عرّفه ر. كايوا R Caillois مجالا للإفراط (2) حيث

1 - فرويد (سيغموند) ، الطوطم والشابو ، دار الحوار ، ترجمة بوعلي ياسين ط1 ، سوريا 1983 ص 127 .

2 - CF CAILLOIS (ROGER) op eit p 151

\* أحيانا تتخذ الجماعة صالها من الصلحاء كرمز روحي تقدّم له الأضاحي وتحى له طقوسنا دون أي يكون مؤسسا لها وإنما اعترافا بسلطانة الروحي .

يتوجّه المحتفلون إلى خرق القاعدة (1) فيتحقق الإفراط في الإستهلاك . وهذه خاصيّة نجدها في الزردة المحليّة من خلال كثرة الأضاحي وفي ذلك خرق للقاعدة اليومية القائمة على القناعة والبساطة . والإفراط يتأكد اليوم في الأكل المتنوع الأصناف والإستهلاك المتعدّد الأبعاد . حيث تعقد سوق كاملة بمناسبة الزردة . هذا الإفراط يسعى إلى التحقق أيضا في أشكال اللّهُو كالرقص والغناء . فالزردة هي غليان قائم على الإيقاع المحلي ويسمح بالمنوع أحيانا وذلك من خلال طقس الحضرة مثلا حيث يقام رقص صوفي وتُخمر يؤدّي إلى الإختلاط ويسمح بتعري صدر المرأة ويتسبب شعرها وهي في حالة تخمّر . إلا أنّ هذا الإفراط أو الممنوع يبرّزه المقدّس . فالرقص الصوفي والحركات الجسديّة يتحكّم فيها الصّالح ويبرّرها . وتمكّن الزردة من التقاء كشيء بين المرأة والرّجل وهو ما لا يحدث في الأيّام العاديّة . هذه الخاصيّات تقرّب الحفل المحلي (الزردة) من النموذج الذي وضعه م. الياد وركايوا وحتى دبر كاهيم .

لكن إذا وجد ر.كايوا في الحفل عودة إلى الفوضى البدائيّة (2) فإنّ الزردة محدودة الفوضى والعنويّة لأنّها خاضعة إلى حالة من القداسة حيث تسيطر المذاهب الدنيّة الصارمة (المالكيّة في شمال إفريقيا) وإن كانت هذه الفوضى والخرق قد يتجسّدان في الحضرة مثلا . لكن طقس الحضرة هو نفسه محدود أحيانا فلا يسمح بالكثافة الجماعيّة والإختلاط والغليان الذي قد ينتهي إلى خرق القواعد مثلما يحدث في بعض البلدان الإفريقيّة والآسيويّة .

إنّ قدسيّة صارمة أحيانا تتحكّم في الحفل فتُمنع فيه مظاهر الخرق رغم أنّ الصلحاء الذين تقام باسمهم الزردة قد نجد من بينهم من عرف بشذوذه الجنسي أو بتسامحه مع الخوارق التي تخترق القاعدة المنظّمة للحياة الجنسيّة والجسدبصفة خاصّة وهذا الشذوذ قد يظال بعض الطقوس الرّسميّة كالصوم والصلاة . فكم من صالح لا يصلي ولا يصوم حتّى .

---

Ibid - 1

Ibid p 154 - 2

لكن على صعيد آخر رمزي بحث إن الخوارق التي تحدث في نموذج ر. كايوا قد تجد ما يبررها في الزردة المحلية بالمجتمع التونسي . فالحفل يحدث بالتوازي مع تجدد الموسم الفلاحي أو انقضائه ويمكن لذلك أن يحمل احياءات الحصب التي تعبّر عنها حفلات الزفاف التي تنعقد أيضا في ذات الوقت .

## قائمة المراجع

### 1 - المراجع المترجمة :

سيغموند (فرويد) : الطوطم والتأبو . دار الحوار ترجمة بوعلي ياسين ط1 سوريا 1983 ص 127 .

- طوالي (نور الدين) : الدّين والطقوس والتغيّرات . ترجمة وجيه البعيني بيروت 1988 .

### 2 - المراجع بالفرنسية :

BADUEL (Pierre Robert) Etats et territoires au Maghreb in annuaire de l'Afrique du nord N12 1983 éd CNRS 1985

CAILLOIS (ROGER ) L'homme et le sacré Galli mars 1950

DURKHEIM (EMILE) Les formes élémentaires de la vie religieuse Quadrige PUF 1990

ELIADE (MIRCEA) : Le sacré et le profane Galli mars 1965

# أي معنى "للحدود" في العصر الراهن

بقلم : الأستاذ عبد الوهاب عبود

## 1 - التمهيد :

إنه مقال يطرح أسئلة ، إشكالات ولا يدعي أنه قدم إجابات صارمة أو نهائية ، طالما أن التحديد الصارم نسق لا نبتغيه ، لأنه يؤدي حتماً إلى الصنمية والأفق المعرفي المغلق ، وبالأخص إذا تعلّق الأمر بنشاط الفعل الإنساني عبر مجالات متعددة : اقتصادية ، سياسية ، اجتماعية ، ثقافية ... إننا ننظر إلى الفعل الإنساني وفق منظور بنيوي شامل حيث تتداخل وتتجادل كلّ المجالات وبالأخص في هذه البداية للقرن الجديد . كما أن النشاط الإنساني محكوم بطبعه بسمة النسبية ، طالما أن الإنسان - أي إنسان - ويقطع النظر عن الزمان والمكان يحلّل فعله من منظور العلوم الإنسانية وهي علوم قيمية (معارية) .

من هنا ارتأيت ورغبت في طرح بعض المسائل المتعلقة بملامح قرن يحزم أمتعته وآخر يستعدّ لحطّ الرّحال ، الأوّل بدأ في الرّحيل تاركاً وراءه "حدوداً" مبشرة في كلّ الإتجاهات ووجه كون جديد يتشكّل دون أن يعلن عن ملامحه النهائية، والثاني يستعدّ للحلول وحطّ الرّحال ولم يفصح عن عالمه (ابنه) الجديد . إنّ التمعّن في عصرنا الراهن يقدم إلينا صورة حيّة عن إنسان اليوم ومجالات نشاطه وفعله وردود فعله . ولن أظنّ في تعريف مميّزات وملامح العالم الجديد أو

الكون الجديد ، ماعدا في ما يخص مفاهيم "الحدود" وموقع الإنسان منها وفيها .  
ولذا سأكتفي بالتطرق إلى الحدود الفلسفية والحدود السياسية والحدود  
الاقتصادية وحدود الإعلام والاتصال ولن أعرف الحدود أو الحد لأن المقال لا  
يتسع لكل ما قيل في هذا الشأن وما يقال ، كما أن التعريف سيفصح عن هويته  
من خلال المقال..

إن تناول هذه الحدود - المشار إليها فوق - لن تكون مفصولة عن الفعل  
الإنساني . فالإنسان هو المحرك الأساسي لكل نشاط سياسي أو اقتصادي أو  
ثقافي ، بقطع النظر عن الاتجاهات والفلسفات والتقنيات والإيديولوجيات .  
من الجلي والواضح أن القرن العشرين ترك وهو على مشارف نهايته شروخا  
عديدة في هذه الحدود المشار إليها وفي ذهنية الإنسان إن لم نقل في ذاكرة هذا  
الإنسان الرأهن ولن يكون الأخير بلغة " فوكوياما " .

ففي كل المجالات يدرك إنسان اليوم أن الحدود تتقلص وتذوب قياسا إلى ما  
كان سائدا وإلى الماضي القريب والبعيد . ففي المجال الاقتصادي يتجه الكون  
بدوله (مع مراعاة الاستثناءات) إلى الكونية والشمولية الاقتصادية ، وتبرز أماننا  
اليوم مقولة علماء الاقتصاد السياسي الكلاسيكي بدعاه بعمل دعه يمر "وكأنها  
قيلت الآن ولكن بكل حدة ... طبعاً مع الأخذ بعين الاعتبار السياق التاريخي  
لذلك العصر وتحليله الاقتصادي والاجتماعية والسياسية...

ونظرا لأهمية معاني "الحدود" سنعمل على إبرازها بشكل موجز تساؤلي وغايتنا  
طرح المسائل ومحاولة مس التخوم في هذه "الحدود" .

## 2 - الحدود الفلسفية :

من الأكيد أن الفلسفة - أي فلسفة - انطلقا من ماهيتها تزرع فينا رغبة  
التساؤل ، تساؤل قد لا يحصل على أجوبة هذا من جهة أولى ، كما أن منطلقها  
(منطلق الفلسفة ) يتمثل في : «أنه الوعي بنزاع يقذف البشر وجها لوجه» (1)  
من جهة ثانية . وأهم ما في فعل التفلسف ما نحصل عليه إذ "تستيقظنا  
الفلسفة على ما في وجود العالم وفي وجودنا من أشكال" (2) . من هنا كانت  
الحدود الفلسفية ودائرتها مفتوحة تاريخياً ، بحكم سمتي التواصل والتفاصيل

المعرفي وعلى سبيل المثال لا الحصر لا يمكن أن نفصل فلسفة "ماركس" عن فلسفة "هيراقليطس" الملقَّب بأبي الجدل، وهذا ما يعرف بسمّة التواصل التاريخي المعرفي. وفي المقابل يظلُّ "ماركس" ابن عصره ومجتمعه، وهذه هي سمة التفاضل، وقد ينطبق هذا المثال (هيراقليطس - ماركس) على سائر الفلاسفة والفلسفات. وما ميّز الفلسفة القديمة والحديثة هي فلسفة النسق المذهبي بحيث تداخلت إن لم أقل تماهت كلّ فلسفة مع أيديولوجياتها. ونتج عن ذلك أن برزت حدود قائمة بين الفلسفات ذات الأنساق المذهبية وبالمخصوص في فترة الحرب الباردة أمّا اليوم فإنّ ما نراه وبالتحديد منذ مطلع التسعينات من هذا القرن فإنّ الحدود بدأت تتقلّص إن لم أقل تتهاوى، بحيث غدت القراءات الإيديولوجية ضرباً من ضروب اللاواقعية أو غمطاً من غمط الهذيان بحكم الإخراج الجديد لآليات الفكر الفلسفي الراهن ونحن على عتبة القرن الواحد والعشرين. إنّ القول السالف الذكر لا يشرّع لنا القول بأنّ الفلسفات أصبحت متطابقة هذا ما لا يجوز طالما أنّ الواقع الذي أنتج هذا الفيلسوف يختلف بالضرورة عن واقع ذلك الفيلسوف الآخر. بمعنى آخر إنّ خصوصية أيّ فلسفة تبقى قائمة كجزء من نشاط التفكير الفلسفي ككلّ. ولكن ما يلفت الانتباه أن حدود المفاهيم والآليات التجريد طوّقت في الحقول المذهبية إلى درجة يمكن القول أن الفلسفة أصبحت أحياناً أحياناً أخرى مغلقة، شمولية وهذا ما قد يؤدّي إلى بداية النهاية للمذاهب الفلسفية والتشيع لها، ولعلّ ما قاله "سكستوس أمبيريقيوس" في حقّ الإتجاهات وفي حقّ الرّبيين يصحّ اليوم ونحن نرقب ونتأمل ملامح عصر جديد وكون جديد بدأ نسيجه الداخلي في التشكيل، يقول "سكستوس": لقد كان الرّبيون بطمحون إلى الطمأنينة من خلال الحسم في ما يفرّق المظاهر عن المفاهيم. فلما عجزوا عن ذلك علّقوا الحكم، فلازمتهم من ذلك، بموجب صدفة حسنة. الطمأنينة ملازمة الظل للجسم، ومع ذلك فإنّنا لا نظنّ الرّبي خالياً تماماً من كلّ اضطراب" (3).

وتزداد المسائل تعقيداً في سياق الخطاب الفلسفي إذ يستحيل أن ينحاز المفكر اليوم إلى أطر معرفية. حدودية ومذهبية بالمعنى الكلاسيكي المدرسي، فالحدود الجغرافية وإن ظلت إلى حدّ ما كما هي فإنّها بحكم "مفهوم الكوكبة" والكونية وطالما "إنّ التغيّر في شكل انفتاح الإقتصاديات على الخارج الذي أصبح يأخذ



مظاهر مختلفة : الانفتاح النقدي والمالي والتكنولوجي والجسري قد غيّر من المفاهيم وأعطى لعملية العولمة مظهرا جديدا يسمى الكوكبة الاقتصادية : Glo-balisation économique (4) من هنا ندرك طبيعة الإشكاليات وعمق المعنى لسؤالنا أي معنى للحدود الفلسفية في عصرنا الراهن؟

### 3 - الحدود السياسية :

من الأكيد أن كلّ تفكير حول الطبيعة الإنسانية ذو تبعات إيدولوجية وسياسية، لذا ظلت "الحدود" في الخطاب السياسي قبل انهيار عالم القطبين بما يمكن تسميته بالخطاب النمطي والنسقي الخطي، وأدت اللغة اعتمادا على الدال والمدلول دورها الوظيفي الهام، طالما أن سلطة الكلمات لا تجد تفسيرها في الكلمات نفسها بل في مرجعيّات خارجة عنها. ومع انهيار وتلاشي عالم الأقطاب برز في عصرنا الراهن، سؤال شديد الإلحاح. بأيّ قياس ووفق أيّ مرجعية يفهم اليوم الخطاب السياسي ؟ هذا هو الطرف الأوّل للسؤال ، أمّا الطرف الثاني وهو تكملة للطرف الأوّل ويزيده غموضا وتشريشا في ذهنية الإنسان الراهن فهو كالتالي: بأيّ سند نظري تبريري نسوق الخطاب السياسي اليوم مع انكشاف وتراجع الإيديولوجيات . ؟ لذا فإنّ الخطاب السياسي بالمعنى العام ، لن يكون في حلّ من التشابك البنيوي والحلزوني الشكل والتوجه القائم بين المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية. لذلك تطرح في يومنا هذا ونحن نودّع القرن العشرين ، ضرورة قصوى تمسّ الخطاب السياسي في نسيجه ومفاهيمه هذه الضرورة قائمة على مدى فهم علاقة الداخل والخارج والتجادل القائم بينهما، الداخل نقصد به الوطن بالمعنى العام والمطلق والخارج نعني به الآخر كوطن أو كدولة أو كتكتلات اقتصادية أو سياسية. من هنا يتبيّن جليّا أن الحدود في الخطاب السياسي الراهن عليها أن تتشكّل، وأخذت بالفعل تتشكّل وفق ملامح القرن الواحد والعشرين وأخلت الخطابات السياسية الكلاسيكية مواقعها لهذا التشكّل الجديد بحكم أن القرن الجديد هو قرن كوني -شمولي أين تتداخل حدود "الأنا" و"الآخر" أو الداخل والخارج.

### 4 - الحدود الاقتصادية :

إنّ مجرد قراءة أوكية للخارطة الجغرافية لدول العالم تعطينا حقائق ملموسة

ليس على المستوى النظري فقط بل على المستوى العلمي أيضا . هذه القراءة تعلن أن مفهوم الدولة بالمعنى المتداول في بداية القرن العشرين لم تعد له أي جدوى ، بلغة أخرى إن حدود الدولة في السياق الجغرافي أو الإقتصادي أو السياسي أصبح من المفاهيم المعبرة عن الهوية لا غير والأسباب تعود . كما أشرت في بداية هذا المقال . إلى أن دول العالم (مع الاحتفاظ بالإستثناءات ) اتجهت وبكل قوة إلى مبدأ الكونية والشمولية . ومن الواضح والجلي أن المجال الإقتصادي هو إحدى القرائن الأساسية في هذا التصور الرأهن أو بداية القرن الواحد والعشرين . بحيث لن يغفل أي مفكر إقتصادي أو سياسي هذه المستحدثات الكونية . فالإقتصادي وهو يعالج ويحلل مسألة اقتصادية . وإن كانت في حدود ضيقة . لزاما عليه أن يعي ويدرك الآخر (التكتلات الاقتصادية) وزيادة على ذلك تستحس مفاهيم وتصورات كونية تمنعه من الإنكماش داخل الحدود الجغرافية - القطرية أو حدود الدولة بالمعنى الضيق ، فلا مجال وهو يعالج أي مسألة اقتصادية من غير أن يأخذ في اعتباره نفس المسألة ببعدها الكوني واللاحدودي طالما أن التحليلات الاقتصادية محكومة سلفا في مدخل هذا القرن (القرن الواحد والعشرين) بمبادئ واتفاقيات تكاد تكون عامة شمولية أو كونية هذه من جهة ، ومن جهة أخرى أفصحت التجارب ثوابت وحقائق تعلن عدم جدوى السوق الداخلية المعزولة .

وهذا ما يؤكد مرة أخرى سؤالنا أي معنى للحدود الاقتصادية في كون يتشكل في توجه كوني . ولن أشير إسمياً إلى التكتلات أو الإتفاقيات لأن المقصود ليست الحدود أو التعريفات بالمعنى المادي . الملموس بقدر ما تعني الحدود في الذهنية الرأهنة وبالمخصوص في ذهنية أهل الاختصاص وأهمية صياغة المفاهيم والمقولات المنسجمة مع قرن بدأت ملامحه في التكون والتشكل . إن هذا القول يطمح ويرغب في تأسيس تصور يليق معرفياً بقرن جديد ويقطع مع التصور القائل " إننا متحيزون لأننا جزئيون" ( Nous sommes partiels parce que partiels ) ويصبح القول الأفضل إننا غير متحيزين لأننا غير جزئيين ، ولا يعني أننا غير متميزين وبالمخصوص في المجال الثقافي والحضاري وهذا ينطبق على كل ثقافة وحضارة .

## 5 - حدود الإتصال والإعلام :

لعلّ "حدود" الإتصال والإعلام أفضل مثال لهذا المقال لطبيعة التكنولوجيا الحديثة والعالية جداً من حيث التقنية والإبداع والتطور ، أولاً ، وثانياً لأنّ المعلومة وهي لبّ مجال الإتصال والإعلام هي ثروة العصر الراهن ، فمن يمتلك المعلومة بكلّ تجلّياتها يمتلك نسيج وخيوط الكونيّة الراهنة ، كما أنّه يحصل عليها مهما كان نوعها وخصوصيتها وسريتها بمدى امتلاكه لتقنيات العلم . ولأنّ مجال الإتصال والإعلام في نهاية هذا القرن (القرن العشرين) تخطى بشكل جريء ، وشديد الفاعليّة مفهوم الحدود بالمعنى الجغرافي أرضاً وجوّاً . وغداً عالمنا قرية صغيرة مضغوطة ومحكومة بأزوار وذبذبات لذا فإنّ الحد بالمعنى الجغرافي الملموس انتفى وتحوّل الصّراع على السيطرة وامتلاك المعلومة والتنافس عليها في إطار الكونيّة واتّخذ الإتصال اتّجاهات عديدة : أرضي وجويّ وعن بعد . وهذا التحوّل والتغيّر السّريع والمذهل في مجال الإتصال والإعلام مس ذهنيّة الإنسان الراهن بكلّ قوّة وأصاها برجة لم تكن معتادة .

## 6 - الخاتمة :

إنّ المقال كما أشرك لا يطمح إلى إعطاء أجوبة نهائية أو قراءات مذهبيّة لعدّة اعتبارات منها أنّ الحدود وهي كتمثّلات نظرية ومفاهيم تجريدية أكثر منها حدود بالمعنى الواقعي الملموس للكلمة ، والغاية برزت في هذا المقال وتتمثّل في طرح الإشكالات وتشوير وتوليد الأسئلة نظراً لحساسيّة العصر الراهن في المجالات والحدود المشار إليها... فالعقل الإنساني إن تساوى ل يطمح ضمناً إلى إيجاد الأجوبة وقد يظنّها حقائق... ولكن يبقى السّؤال معلّقاً دائماً وبلعّ على الذات العارفة طالما أنّ الحقائق منغمسة في الشبهات والوصول إلى الحق وعبر بلغة الحسن بن الهيثم .

الهوامش :

- 1 - أبيكنات (محاورات)
- 2 - موريس مرلوبونتي (تفريغ الفلسفة)
- 3 - سكستوس أمبيريقوس (مقاربات بيرونيّة)
- 4 - لطفي بن عمر جمعة (مجلة الإنحاف ص 14 شهر نوفمبر 1997)

# قلبية في الشعر الحديث

بقلم: محمد الصادق عبد اللطيف

تخطى المدن الجميلة باهتمام خاص من لدن الشعراء ، ومنذ القدم تغنى عديد الشعراء بجمال المدن ودعوا إلى حبها والتغنى بحاسنها في إشارات مقصودة ذات قيمة أدبية رائعة ، فإذا الصورة الشعرية تفيد القارئ عن بواطن تلك الأحاسيس التي صورها الشاعر في قصيده الذي نقل تلك الخلدات بروح صادقة نبيلة .

إن التغنى بالمدن ومدحها هو وجدان حيّ نقرأ فيه خصائص أدبية قديمة تفيدنا تاريخياً وأدبياً عن روح التفاعل والصدق مع الواقع في تصوير الماضي والمشاهد الطبيعية والتاريخ ، وفي العصر الحاضر تحظى مدينة (قلبية) لدى الشعراء باهتمام خاص ، كتبوا في تاريخها وصوّروا حضارتها وخصائصها ، فكانت قصائدهم تطفح حباً وفتاً ، ويكفي أن نسرّد من تلك الشفاعات كتدليل عن هذا الحب ، ولما امتازت به (قلبية) من خصائص جمالية وعمرانية وحضارية ، يشهد بها كلّ من رآها أو زارها أو عاش فيها أو تردّد عليها بمناسبة ما ، حتّى صارت بالنسبة إليه قطعة من حاضره ومستقبله ، ينسى من أجلها موطنه الأصلي . يتصدّر هذه الكوكبة من العشاق الشاعر (عبد المجيد التلاتلي) الذي نقل للقارئ في ديوانه "أغاني قرطاج" (بالفرنسية) وصفا بديعا للمدينة وإذا القصيد كلوحة فسيفساء تشد المشاهد وتجعله يعيش - من خلال القصيد - لحظات وردية وهو بعيد عنها والمقام لا يسمح بإيراد النصّ الفرنسي للقصيد والترجمة الإجمالية تفسد محتواه عموماً وخاصية هذا اللون - التغنى بالمدن - ومنها قلبية أنّ بعض الشعراء ومنذ القديم ولدى فطاحل الشعر الكبار خاصة في تونس - كالباجي المسعودي والورغي وابن أبي الضياف وفي القيروان (ابن رشيق وصالح سويس) والفائز بوشريّة والحليوي وماجد ؛ لما تفتح أمامهم مجالات الإبداع الموصول بمسابقة ما ،

كما فعلت الإذاعة التونسية سنة 1958 (مسابقة التغني بالمدن) ، يبدعون في التعبير عن خلجات نفوسهم وفي نقل الصورة الصادقة عن المدينة التي أحبوها . وإن لم تقع زيارتهم لها . وقلبية أولى المدن التونسية الي تغنى بها الشعراء . بعد الاستقلال طبعاً . منهم الشاعر المرحوم محمد صمود صانع قصيدة (شطك يا قلبية) الذي غنته الفنانة نعمة :

شطك يا قلبية محلا      سعد اللّـي جا  
وتنعمُ بلذيذ هـواه      شطك يا قلبية محلا  
شطك جميل      فيه نسمة تخبل تخيل  
ما ليه مثيل      شطك يا قلبية محلا

وهي أولى القصائد التونسية التي فتحت شاهية شعرائنا للتغني بالمدن (نابل ، الحمامات ، طبرقة ، عين دراهم ، بني خلاد ، منزل قيم ، الهوارية ، سوسة (سوسة وجمال والمهدية) .. الخ وأيضاً قصيدته الخاص بالصيد : لقد ربط هوايته الذاتية (الصيد) بمسقط رأسه قلبية ، وجعل منها جنة يستريح فيها الإنسان وتسمو فيها العاطفة وترتفع من خلالها الأوصاف لتجلو المدينة كعروس :

قلبية يا جنة الصيـادة      يا عيشة في الحـير والسـعادة  
يا قلبية يا جنة الصيـادة

ثم يرتفع مجال الإرتقاء بهذه الجمالية الشعرية لما تكون العاطفة مقرونة تاريخياً بزمن ما وشاعر ما . وهذه الشاعرة : ملك عبد العزيز (مصرية) زوجة الناقد الكبير الدكتور محمد مندور التي سجلت ذكرياتها وأبرزت مفاتن مدينة قلبية وبهجتها من خلال زيارتها لها سنة 1965 وقد كانت العاطفة صادقة والصورة الشعرية ومضاميتها نابعة من إحساس فياض آية في الواقعية والصدق :

في المنصورة

من فوق الأدراج الشّماء رنا للجزر المسحورة

وقلبية يا فرحي الأخضر

الجنة فرّت من فردوس الله وحلت مرجك

أطراف ثيابك قبلها  
ثغر الأمواج الفضية  
واله البحر .. حباً ولها  
وحباك وشاح الفيروز  
باعيد الأيام الخضراء  
يا بهجة أيامي .. عودي (1)

وتشاء الأقدار أن تقترن زيارة الشاعر الرقيق (محي الدين خريف) مرارا لقلبيبة  
ضمن نشاط ثقافي وقد هزه الشوق والتحنان ذات مرة إلى عوالم أخرى تخرج  
بالقارئ إلى ما فوق العواطف ، إلى الرؤيا الواقعية والمثالية في نقل الصورة  
للقارئ :



قلبيبة  
يا شوق الأمواج  
حبتك الروعة شطآن  
ولوى الزنار الأخضر  
حولك نيسان  
رأيت لأبحث عنك  
وقد عدت في سمعي الحان  
ورؤى .. طافت وخيالات  
ملئت بالفن والروعة  
لله الفتنة والبدعة (2) .

وتشعر الصورة الشعرية أكبر وتشتعل عند الشاعر المرحوم محمد الشعبوني  
وهو بعيد عنها لم يزرها إطلاقا وقد ربط شوقه إليها بتاريخها ونشاط الزعيم  
المرحوم محي الدين القليبي وصادقته لبعض أدياننا . وقد كنت زودته بصور عنها  
وطلبت منه نقل صورة شعرية عنها فكان قصيدا رائعا من حيث البنية والصورة  
والمضامين :

وأنا إلى أهل الوفا تواق  
راكب نبع خالص دُفّاق  
وطني تسامت عندك الأذواق  
والشعر صاف والهوى إشراق  
والروض زان غصونه الأبراق  
تفتّر عن نفحاتها الأطواق  
دنياهم بظلالها العشاق  
ذكرى توج بكنهها الأعراق  
رأس الشموخ وما له إطراق  
نطقت سرّ خلودها الأعماق  
فالنشء في قليبها سباق  
قد صاغها سبحانه الخلاق  
بعبيره ترنوله الآفاق  
من (الطيف) قد ضمّن الميثاق  
تروحي وتوهو بأسمى الأذواق  
أوحى بها الأشواق والأعماق (3)

قلبي إلى قلبية مشتاق  
ولقد حفظت ودّهافي خاطري  
أقليبيا يا عبقر الإلهام في  
ماذا أرى تلك الطَّبِيعَة جنة  
وشذى الورود يرفّ في نسماتها  
بدت الزهور تيمس في باقاتها  
ومجالس الإخوان كلّ عشيّة  
والبرج في قليبيا يحكي لنا  
قد قام هذا البرج يشهد أنّه  
أقليبيا لي في هواك محبّة  
أقليبيا صوت الجهاد على المدى  
إنّا عشقنا فيك وحي طبيعة  
وعرفت فيهم شاعرنا تزل  
وعرفت فيهم (صادقا) و (محمدا)  
أقليبيا بأصورة لما تزل  
هذي تحيّة شاعر متأمل

ويأخذ الشعر الشعبي حظّه في مجال التغنّي والتعبير عن تلك الخلجات الصادقة  
تخليدا لمدينة قلبية وحبّ الشعراء لها وهذا الشاعر المرحوم العربي صمود يعبر  
عن هذا في غفوة صادقة معبرة :

يصونك الله السّتار  
ويحامي أهلك ومّاليك  
شايد خبرك في الأقطار  
أنظر للتّاريخ وشوفه  
ماذا انكشفت من آثار  
زليح ظفري في ترتيبه (4)

قلبية يا بهجة الأنظار  
يصونك بحمّيك  
وشبابك يعطف عليك  
قلبية معروفة  
معالمها كثيرة ما توفه  
آثار عجيبة

وأيضا الشاعر الشعبي مبارك السعفي بدلي هو الآخر بما يزيد في تعميق الرؤيا  
الأدبية والشعرية خاصة لما يصور تعلقه بمدينة قلبية ومفاتها :

|                           |                                |
|---------------------------|--------------------------------|
| يا قلبية محلاك في جمالك   | مُحال نلقى في المدين مثالك     |
| من صغررتي نهواها          | قدأش تحلالي الحياة معاها       |
| في صدقها واخلاصها واذكاها | تنسبك في همك وحيرة بالك        |
| قلبية ما اجملها           | خصوص الذكاء لا بعدها ولا قبلها |
| تكرم الزاير حبر ما يصلها  | يا قلبية هذا طبع رجالك         |
| قلبية مشهورة              | بالبرج والنسيم والمنصورة       |
| هذا شطها يغذيك كيف تزوره  | بالله ما تحرمش منه عيالك(5)    |

ویشع مجال الإبداع الشعري لدى الأدباء الهواة الذين يفدون عليها سنوياً  
ليعيشوا مهرجانهم الأدبي ، ويكون لهذا الحضور صدى في إنتاجهم كل سنة ، وهذا  
الشاعر (محمد بن جماعة) يسجل حضوره الشعري بهذه القطعة التي تعكس صدق  
العواطف وحرارة التعبير .

قلبية

أراك

والقلب بحر تسكنه

الهدافات والعشق القديم

يزرعني الحسن فيها متلاً وعميقاً

قلبية

تغازلني ...

تغازل مني  
تدفن داخلي  
http://Archivebeta.Sakhril.com

ياقوتاً وزبرجدا ...

والحب يرفل في حلّة بيضاء

زرقاء ألوانها آخر

قلبية (6)

وإذا كانت الصور الشعرية التي عرفتها قلبية وعرضها الشعراء في لوحات  
متعددة وثروة المضامين وقد نشروها في الصحف والمجلات فكانت انعكاسا  
لمجالات الإحساس الشخصي والصدق مع النفس ، لقد فاقت الشاعرة (رقية بشير)  
هذا التصور حيث كانت كل سنة تحمل أحاسيسها وألوانها الشعرية فيما تحمله  
لمدينة قلبية من حب صادق ووفاء دائم وعاطفة جياشة ، وحيث ترتقي بالصورة



الشعرية إلى الأمثل وهي (المستيرية) التي تحيا في مدينة ساحلية جميلة ، وقد نشرت قصيدها الأول بالملحق الثقافي للعمل (تحية قلبية) :

|                            |                                |
|----------------------------|--------------------------------|
| غراء أنت وبهجة للخاطر      | فيك السنا متألق للنظر          |
| حورية تسبي بسحر لوحظ       | السحر طوقها بفيض غامر          |
| طفح الجنان بدلها مترنما    | كترتم البحر الصقيل السامر      |
| قد جنتها والوجد ملء جوانحي | وتركت فيها نفحة من خاطري       |
| في المهرجان سعيدة بلقائها  | والمهرجان سعادة للشاعر         |
| هي والمنستير الحبيبة متعة  | للطرف والوجدان نجوى الشاعر     |
| إنني وهبتها بديع مشاعري    | وصبغت بالأشواق لوح الخواطر (7) |

وقصيدها الآخر معارضة لقصيد (يا ليل الصب) جاء موشحاً رانعا وهو تحوّل من مستوى التعبير عن العواطف نحو مدينة قلبية التي ترفل في التاريخ العريق والطبيعة الغناء والشواطئ الفضية الجميلة ، إلى صاندة الشعراء الكبار في التغزل وإبراز القدرة الذاتية نحو المعبود وما المعبود من (رقية) إلا مدينة قلبية الساحرة ، وقد غنوت قصيدها هذا بـ (قلبية الحب - قلبية الزهور) :

|                                     |                                   |
|-------------------------------------|-----------------------------------|
| فَتَّانَ حَسَنِكَ أَعْبَدَهُ        | يَشْتَدُّ الشُّوقُ فَأَقْصِدَهُ   |
| وَعَلَى شَفَتِي كَفَى نَعْمَ        | مَنْ نَفَحَ الْقَلْبَ أَعَاوَدَهُ |
| مَا أَحْلَى الْوَصْلَ لَذِي وَلَعِ  | بَعْدَ الْهَجْرَانِ يَجِدُّهُ     |
| رَنَعَ أَهْوَاهُ بَلَا دَجَلَ       | حَبَّيْ أَبْيَدِهِ أَرْدُّهُ      |
| يَا ذَاتَ الْغَنَجِ قَلْبِيَّةَ     | كَمْ يَقْلُو وَصْفَكَ حَسُّدَهُ   |
| فَالْحُجَّاجُ بِوَجْهِكَ أَرْسَمَهُ | صَوَّرَ التَّشْبِيهَ تَجَسُّدَهُ  |
| دَرَا كَسَنَّاكَ أَنْظَدَهُ         | عَقَدَا يَكْفِيكَ تَقْلُدَهُ (8)  |

والشاعر صالح الخوجة كان له حضور شعري في هذا السياق حيث كتب في قلبية لوحة شعرية ضمنها أحاسيسه وحبه وتعلقه ببلده وما هي عليه من جمال وتراث وحضارة :

أقلبيية  
بلدي السعيد  
ومعبط الوحي الجديد  
إنّي أنا أتلو التّشيد  
في قبة الإلهام والروح المجيد  
أقلبيية  
بلد الحدود  
بلد البساطة والغناء  
بلدالمبادئ والأمان  
بلد الهناء  
بلد الفلاحة في السّفوح (9) .

وشعر كهذا في مدينة قلبيية التي ترتقى بتاريخها وحضارتها إلى ما تحظى به من تقدير واحترام وحب ، تحديده بأن يقول فيها الشعراء صراحة قصائدهم حتّى يقترن انتاجهم الشعري بها لشرف الأجيال ، وهو جانب أدبي قل أن يتوفّر لمدينة مثلما هو الآن من التاريخ الأدبي لتونس الأمس أو اليوم ، وهو إنتاج سيكون حضوره على المحك لما يقرؤه الدارسون للحضارة وهو ما سينعكس أساسا على الواقع الأدبي لمدينة قلبيية مستقبلا والتي يزداد تاريخها إشراقا باهتمام المؤرخين والأدباء (شعراء ودارسين) وهو ما جعلني شخصيا أهتمّ بالموضوع من الوجهة الوثائقية أولا ثمّ من جهة التعريف بالمحصول الأدبي على مدى خمسين سنة لمن كتب شعرا في قلبيية ، وشخصيا هزّنتي الشاعر فتفاعلت مع واقعها باعتبارها مسقط رأسي :

|                        |                           |
|------------------------|---------------------------|
| قلبيية في عزّها ترفل   | عروس بحقّ بها العشر       |
| تهلّل من فرحة باللقا   | وبالمهرجان على أرضها تفخر |
| تمدّ الذّراعين مبيّاسة | بهذي الجموع تستبشر        |
| قلبيية ترنيمه الهازجين | بصفو الوداد لكم تنظر      |

إنّ مدينة عربيّة مثل قلبية وعلى مدى نصف قرن قيل فيها مثل هذا الشّعـر من طرف ثلاثة عشر شاعرا فيهم امرأتان أنتج كلّهم عديد القصائد بين فرنسيّة وعربيّة فصيحة ودارجة وقطعتان تتغنّى بهما المطربة نعمة. هو امتياز يجعل من قلبية مركز إشعاع متوسّطي بتاريخها أولا وبآدابها ثانيا وبما قيل فيها ثالثا ، لأنّ القصائد المنشورة بالمجلّات التونسيّة (الفكر، الإتحاف ، بلحق الحرية الثقافي) كلّها تبرز أنّ مدينة قلبية جنة من جنّات الخلد تعيش في قلوب أحبّائها الخالص وقد منحها الله التاريخ والجمال واللطف هي غانية ترفل في أبهى الحلل، إنّ تحجاب عميق بين الشّعراء والمدينة التي تسحر بطبيعتها شواطئها، فإذا هم يعدّدون تلك المحاسن في تلقائيّة وشوق، أنا أتطلّع إلى أن تجمع كلّ القصائد التي قبلت في جلّ المدن التونسيّة في ديوان يكون مرجعا ثقافيّا لهواة الحضارة والمدن على أن تدرج تلك المضامين ضمن المسائل التي تدرس بالجامعة أسوة بما هو مقرر في مسائل تشبه ما أشرت إليه يقوم على تدريسها حاليا الشّاعر جعفر ماجد لطيلة العربيّة ويذيعها في حصص إذاعيّة وقد صنع منها كتابا، يباع حاليا في المكتبات (10) .

إنّ من باب تخليد هذا الإنتاج الشعري قد اقترحنا على بلديّة قلبية أن تكتب إحدى قصائد (رقبة بشير) بخط جميل على رخامة تلتصق في واجهتها لتكون كتحية لكلّ زائر لمدينة قلبية الزائرة وهي أمل في تحقيق باذن الله قبل الدّورة العاشرة لمهرجان قلبية للأدباء الهواة سنة 1996 . على أنّ البحث جار للحصول على قصيد لأمير الشّعراء خزنة دار ألقاه بقلبية سنة 1937 بمناسبة زيارة وفد دستوري لها ولعلّه نشر بالإرادة (11) حسبما أعلمني بهذا المرحوم الشّاعر محمد الشّعبوني وإنتاج شعري آخر لعلّه للشّاعر العياشي طاع الله قد يكون نشره بالإتحاف سنة 1988 .

على أنّ محبة المدينة وشوق زائريها لا يتوقّف نبضه في وجدان الشّعراء خاصّة وهذا الشّاعر حسن بن عبد الله (ابن المنجم) في ديوانه - تسابيح - الصادر سنة 1990 يعبر عن حبه وتعلقه بالمدينة وأشواقه إلى حضنها :

أسييني

حين أتيتك من أغواري

كنت شديد اللّهفة

أبحث في مفترق الطرقات عن العنوان  
 باتت أنفاسي تجذبني  
 رائحة البحر .. ورائحة الأغصان  
 ماذا سأقول لوجهك هذا الطافح بالإشراق  
 شمسك تشرب من وجدان البحر  
 وأخيرا كسبت قلبية شاعرا جديدا من رحمها هو محمد رشيد البدوي  
 حيث يقول :

لو لا الأحبّة ما ألهمت في الكبر      ولاشدت بحسن البرج ذي العلم  
 تلك المآثر ما انفكت تعاتبنا      لما تشكّت شروح الصدع وصم  
 تبدو المفاخر من العليا شامخة      تزهو عطاء سمو العزّ والهمم  
 قليبيا بلد الإلهام في وطني      يا شامخ الطود رمز الحبّ والكرم

تلك هي الصّور البديعة التي عبّر عنها شعراء أحبّوا قلبية وأخلصوا لها  
 فكان إنتاجهم الشعري مثالا للصدق بالأمانة والإبداع

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الإحالات :

- \* عبد المجيد التلاتلي : (ديوان أغاني قرطاج) بالفرنسية .
- 1 - ملك عبد العزيز : مجلة الفكر - السنة 10 العدد 8 - ماي 1965 .
- 2 - محي الدين خريف : نشريّة قلبية مدينة الجمال - جويلية 1983 .
- 3 - محمد الشّعبروني : مجلة الإتحاف - السنة 5 - العدد 21 نوفمبر ديسمبر 1989 .
- 4 - العربي صمّود : نشريّة قلبية مدينة الجمال - أوت 1986 .
- 5 - مبارك السّعفي : نشريّة قلبية مدينة الجمال - أوت 1991 .
- 6 - محمد بن جماعة : مجلة الإتحاف س 6 - العددان 30 و 31 سبتمبر ، أكتوبر 1991 .
- 7 - رقيّة بشير : الملحق الثقافي للحرية 1995/1/5 .
- 8 - رقيّة بشير : لي نسخة خطيّة من الشاعرة 1995/8 .
- 9 - صالح الحوجة : مجلة الفكر س 6 العدد 20 نوفمبر 1960 .
- 10 - عنوان الكتاب : (المعاني والمغاني) ط 1990 دار التركي للنشر تونس .
- 11 - جريدة الارادة عدد 243 الصادرة في 1937/9/2 .

# " أنشئ الماء " لأمال موسى أنشئ ... سافكة للدِّماء ...

بقلم : منجي السَّعيداني

" فيا أَيْتَهَا النَّجْمَةُ يا نَجْمَتِي  
أطيلي قامتي  
زيدي استدارة الخصر  
من يتسلَّقني ولا يهوي ؟  
وحده الموت يدرجني  
يعرِّي عظامي " .

وحدها هذه الأبيات الشعرية تتكرَّر في المجموعة الشعرية الأولى لأمال  
موسى الحاملة لأنشئ / الماء / أنشئ الحياة الصادرة في نهاية العام الماضي ...  
في حلة أنيقة ، وورق ضيق <http://ArctivabetaSakhr.com> تطلَّ علينا أمال موسى بمجموعة شعرية أولى ،  
تخبرُ عليها تسمية " ديوان شعر " ، تطلَّ علينا وهي قامة مديدة لا يمكن أن  
يتسلَّقها إلا المريدون والعاشقون ...

الشعر هنا مطيِّبة فحسب ، تركيبها أمال موسى لسفك الدِّماء وتبعثر ما تجمَّع  
لدى الشعراء من آراء ، شعر جزل ومتين يشي بأنَّ التي كتبتَه كتبتَ غيره منذ  
سنوات ، وجريتَ عديد الأدوات ، ولما استقرَّ لها رأي وأوت إلى الثبات ، خرجت  
علينا بمئات الأبيات ...

يتخفَّى المتنبي بين كلمات أمال موسى ، وتجد لديه ملاذا في وقت بات فيه  
الشعر مكرَّرا أو معادا ، ولكنها تبدع في مراودة الكلام فتشره وتقع به المستمع

قد تجد لذةً وتتحسّس مذاقها ، في لسانك ، ولكنك حين تحاول البحث عن سرّ ذلك ومكنه ، تنزلق كلّ الحلاوة دفعة واحدة ، وتجد نفسك قانعا بما استسقت من حلو الكلام ... هذه الثّيرة التي تسمعها ، هي بدون جدال ، نيرة مخالفة ومختلفة ، لا تطلب الماضي وتستدعيه عنوة ، ولكنّها وهي تصوّر واقع الآن ، تجعلك مستمعا لنغمة الماضي :

« في البيت القديم  
حيث نظم جدّي قصيدة عموديّة  
أعيش جارية في مملكتي  
ثوبي مبلل  
وعلى التّاج وضعت رأسي ...  
في البيت القديم  
أبين تتكئ الجرة  
ينساب الماء ممزوجا بالتّشابيح »



صحيح أنّ الشّعـر حرّ ، ولكنه ليس حراً ، بل مفيد بسلاسة عذبة ، ومصطلحات ومفاهيم وكلمات يدرك القارئ أنّ كاتبها لا تلعـب ولا تلهو مع الشّعـر ، لأنّها تدرك بالفعل وتعي ما تقول ...

سفك الدّماء :

أمّا الشّاعرة ، في هـذ " الديوان " فهي كاسرة للأعناق "من يتسلّقني ولا يهوي ؟" ، ووسطها هو محور الكرة الأرضيّة فالخـصر منها هو سرّ الفتنة وارتباك الأشياء ، تأملّ معي ما تقول :

« أيّ خطاف هرب بخصري ؟  
أين أخفت السّماء وجهي ؟

قصيدة "أعالي الزرقة " ص 19.

« أحيط بخصري

لأحبك ثوبا يتسع ساعة غضبي »

قصيدة "غير قابلة للإختزال " ص 23 .

« فيا أيتها النجمة يا نجمتي

أطيلي قامتي

زيدي استدارة الخصر ... »

قصيدة "نجمة القيامة " ص 33

« يا أيها الشعر - الشعر

تحتم بخصري

وسأحجب لك

قصيدتين »

قصيدة " يا أيها الشعر - الشعر " ص 38

« متيمة

أغتسل بأنوثتي

جمرة مبللة

صائبة تعبد كوكبها

أصابعي حبر

خصري لفاف ورق . »

قصيدة " صلاة الجمر " ص 47

فهذه المرأة المتحدثة على لسان آمال موسى تودّ تفجير العالم أولاً عبر طول قامتها التي أسالت الدماء حولها ، وهي متكنة امرأة لاتبالي بما حولها... ثم وهي تستعمل خصرها المتحوك من هروب الخطاف ، إلى الإحاطة به عند الحاجة ، إلى طلب الإستزادة من الإستدارة ، والتختم بأسراره ، إلى لفاف الورق الرهيف ، كلها أسباب تستدعيها قبل أن تشعر العالم بأهمية الأشياء لدى " أنثى الماء " ... فهذه الأنثى أرض روكاً بالرغم من ظاهر الحدة في الطباع ، وصك الرجال ،

جبهة الواحد على جبهة الآخر ، توحى بالصَّلاة في الظَّاهر ، ولكنَّها توحى لك بأولئك الإناث اللَّائِي مَرَرْنَ مِنْ هُنَا ، فلم نَعُدْ نَرى مِنْهُنَّ إِلَّا الظَّاهِرَ مِنَ الْأَشْيَاءِ ، أَمَّا الْبُؤَاطِنُ فَلَا شَيْءَ مِنْهَا يَخْفَى ، وَلَا يَرْقَى إِلَى تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي نَطْلُبُهَا مِنَ النِّسَاءِ ...

" أنثى الماء " مدمِّرة ، كاسرة ، تستدعي كلَّ الرِّجَالِ إِلَى مُحْرَابِهَا ، تستدعيهم بِالْجُمْلَةِ ، لكنَّها تَسْرَحُهم الواحد وراء الآخر ، يتشابهون ويتشاركون في الهزيمة ، ولكنَّهم يَخْتَلِفُونَ مِنْ حَيْثُ مِقْدَارُ دَقِّ الْأَعْنَاقِ ، هُم مِثْلُ الْفَرَاشَاتِ الَّتِي تَأْتِي زَاحِفَةً ، وَلكنَّها حِينَ تَشُمُّ رَائِحَةَ الْوَرْدِ وَالْأَزْهَارِ ، تَخْشَى عَلَى الْوَرُودِ مِنْ امْتِصَاصِ الرِّحْقِ وَتَخْشِيهِ الْحَبِيبَةِ عَلَى الْإِبْحَاءِ بِفِعْلٍ يَغْيِرُ ظَاهِرَ الْأَشْيَاءِ وَيَاطُنُهَا ...

« إذا متَّ

أعشق أنثى غيري

ومتَّ

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

فيكفي

أنِّي فِيك خَلَقْتُ عَادَةَ النِّسَاءِ » .

قصيدة " إذا متَّ " ص 86 .

وقصيد "إذا متَّ" ، هو خاتمة هذا الديوان الأوَّل الذي يوحى بأنَّ أَمَالَ مُوسَى وَلَدَتْ شَاعِرَةً مُغَايِرَةً ، لَهَا صَوْتُ خَاصٌّ بِهَا ، وَنَغْمَةٌ رَقِيقَةٌ لَا تَسْمَعُهَا إِلَّا الْقُلُوبُ الشَّافِةُ ، صَحِيحٌ أَنَّ ظَاهِرَهَا يُوْحِي بِالْعَنَتِ وَالْجَبُورِ ، وَلَكِنْ ذَلِكَ يَنْبِئُ كَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ ، أَنْثَى لَيْسَتْ كَبَاقِي الْإِنَاثِ ، صَحِيحٌ أَنَّهَا تَسْتَدْعِي الْمَاضِي بِكَافَةِ تَفَاصِيلِهِ وَتَخَيَّلَاتِهِ ، وَلكنَّها تَقُولُ كَلَامًا صَافِيًا رَقْرَاقًا ، غَرِيلَتُهُ بِحَذَقٍ وَاضِحٍ وَأَسْبَغَتْ عَلَيْهِ مِنَ السَّهْرِ ، أَكْثَرَ مِمَّا تَسْبِغُ أُمَّ عَلَى ابْنِهَا الَّذِي ارْتَفَعَتْ حَرَارَتُهُ عَلَى غَيْرِ الْعَادَةِ ، فَهِيَ قَدْ شَرِبَتْ كَلِمَاتِهَا الْمَاءَ ، فَلَا هِيَ مُحْتَاجَةٌ لَضَغِّ الْمَاءِ ، وَلَا



القارئ في حاجة لرواء النساء ، هي تجمع في ما أصدرت ، بين الأنثى والماء ،  
فاذاهي ، تفسير واضح لمجلد الحياة .

## تمنع وإغراء :

وتوحي القصائد بأنها كل واحد ومتوحد في الموضوع والخيوط الرابطة بين  
سلسلة مفاتيحها ، ولكنها كلها تشير إليها من حيث تدري أو لا تدري ، هذه  
النغمة الأنثوية من الصعب أن تتخلّى عنها الشاعرة ، وحتى إن صادف وفعلت  
ذلك ، فهي تحاول استغلال من يتابع كلماتها ، وسرعان ما تتسرّب نفس النغمة  
من جديد ... امرأة معتدة بنفسها في كل ما توحي به من كلام ... فهناك من مات  
غرقا على ضفتها .

« يتساءلون

عن الذي مات غرقا

على ضفتي

وأنا صاحبة أول بكاء »



<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قصيدة " لست لأحد " ص 44

فهذه المرأة يموت الرجال أو القادمون من شتى الأنحاء ، قبل أن يصلوا مركزها  
، فالموت ، موتها يأتي عن بعد ، مثل الفراشات التي تحترق من وهج اللهب  
... وهي بالرغم من ذلك أنانية إلى حد كبير تقول في نفس القصيد :

" لي شاعر

من أجله استغفقت ليلا ،

لأنسج بيت قصيد

لي

ولست لأحد "

فهذه الشاعرة تطلب الوصال لنفسها فحسب ، أنانية امرأة معتدة بطول  
قامتها واستدارة خصرها ، والماء / الرّواء الذي يحيط بها من كلّ جانب ... ذاك  
هو سرّ الإغراء ...

" متيمّة "

أغتسل بأنوثتي " (ص47)

" في شرفة الضباب

أطلّ شمسا

حلي (ص68)

" في قرطي

يبوح البرق بسرّ أنثى

شقها

فسقطت

مكتملة " (ص68)



وأنت تقرأ هذه الأبيات الشعرية ، تحسّن هذه المرأة بين الكلمات ، فهل  
هذه المرأة التي تغتسل بأنوثتها ؟ ومن هي المرأة التي تطلّ في شرفة ضبابيّة ،  
فتكون شمسا حلي ؟ من وراء الضباب ، تأتي شمسا ، وهذا لا يكفي ، بل إنّها  
تكون حلي بكلّ الأماني ، أليست أنثى ، وبها كلّ الماء !!!  
وهذا البرق حين يبوح ، لا يعطي شررا يضيء الطريق ، ولكنّه يسقط أنثى من  
السّماء ، فتكون مكتملة ، ألم نقل إنّ هذه المرأة بحق استثنائية ، ولعلّها بارقة لا  
تأتي إلّا مع الأنواء ، مع الرّواء ، في خطّ غير خطّ باقي النّساء ...  
" أنثى الماء " أنثى مخالفة لباقي النّساء ... بل مختزلة لكافة النّساء ...

---

\* \* أنثى الماء " مجموعة شعريّة صادرة عن دار سیراس للنشر ...

# فنون تشكيلية

## الشاعرة والرسامة الإماراتية

### ميسون صقر في ضيافة الإتحاف

\* من ينابيع اللون والكلمة ..  
إلى المواقف والآراء ..

متابعة : منير بن يونس



قبل البدء ...

ربما غمّزَ دفاترنا على عتبات المسافة  
الفاصلة بيننا .. وبين غرغرة النبض ... ربما  
نقف بأحلامنا خلف أسوار الملهمات .. وتحملنا  
لونا قائما يطمس كبرياء الحقيقة / الفاجعة ..  
أو تعاوينا وخرافات تهرّج خور حطائنا .. أمام  
اهتزاز المرء .. ربما تراكبنا سؤالا جريحا يركب  
ظهر حمام لقيط ...



تمتمة تحاول تفجير صمت الأسئلة في  
خريشات طفلة تبحث عن خطاها البكر .. عن  
شوارع ضاعت أسماؤها .. تتسج فساتين  
الفرح المعدم .. للواقفين على صراط الوهم  
... تحمل دمعته الأولى في حقائب السفر  
مسافة العمر كهوف الأزمنة المتمرّدة على  
طقوس الحياة .. الطفلة ينخرها اللأمعقول ..  
تريد انتزاع ما تجذّر في خراب الذاكرة ...  
لا مفرّ إذا من قتامة المسافة الفاصلة بين  
التعاويد .. وحقائق التماثيل ... وما تروم



من خراب التفاصيل .. صهيل يغذي أرواحا  
معدمة وارتباك فراغ يغذيه هذيان الشتات  
.. ودماء قائمة تلون الخطى المحبطة لكائنات  
جامدة .. تقف بهياكل تأكلت أحشاؤها ..  
وضيفتنا تمجد السواد وتقدم السرد على  
هيشته .. حفظت أباجدية الغيوم عن ظهر  
قلب .. ناحتة من لظى الوجد اهتزاز الوعي  
الباطني .. وخرافة اللون الميت .  
\* نشاطات :



تلك أولى خطانا في مدينة الشاعرة الرسامة  
ميسون صقر القاسمي التي نزلت ضيفة على  
ملتقى المبدعات العربيات بمدينة سوسة  
فأنزلناها بدورنا ضيفة على أصدقاء الاتحاد  
قصد الإقتراب أكثر من هذه التجربة  
الإبداعية المتميزة وتسلط الضوء على  
بعض جوانب عالمها الإبداعي .



فميسون صقر لها نشاط هام بدولة  
الإمارات العربية المتحدة وقد قدمت ما يزيد  
عن الثماني مجموعات شعرية وهي على  
التوالي : هكذا أسمي الأشياء ، 1983 ،  
خريشات على جدران التعاويذ لامرأة  
مشدوكة بالحرف واللون (شعر ورسم)  
1990 ، الوقوف على خراب الرومنسية  
1991 ، الريحان ، البيت ، جريان في مادة  
الجسد 1992 ، السرد على هيشة (شعر  
ورسم) ، الآخر في عتمته ، رسوم للأطفال



أو الناشئين ، تشكيل الأذى "شعر" 1997  
 . إلى جانب ما تقدّمه من إصدارات .  
 فسجلها حافل بالمعارض داخل وخارج دولة  
 الإمارات آخرها معرضاً على أرض الخضراء  
 بكلّ من سوسة ودار الثقافة الطاهر الحداد

\* المواقف والآراء / حوار حول التجربة :

ما هو ملموس في تجربة ميسون صقر  
 التشكيلية هو بحثها المتواصل عن الصورة  
 الإيحائية .. فالمشهد الواحد يمكن أن  
 يحيلك على صور متعدّدة تلتقي في نقطة  
 القتامة وتحيلك كلّ رموزها لعالم من القلق  
 والشّتات بألوان حادة .. وخريشات تتجاوز  
 العقلانية في أغلب الأحيان .. لتدخلنا  
 عالماً طغت عليه التعاويذ والخرافة من خلال  
 خطوط وألوان تعتمد الحركة السريعة  
 والعبثية بكلّ ما هو واقعي ..



حول هذا النّسق في لوحاتها ..  
 وعلاقتها بالنّحت ... وبالواقعية والوجود  
 كان لنا لقاء أجريناه معها عقب زيارتها  
 لتونس بملتقى المبدعات العريّيات ..  
 فحاولنا تقديم تجربتها وما لحظناه في  
 رسومها في شكل حوار قد يقرّب أصدقاء  
 الإتحاف بشكل أكثر وضوحاً من هذه المبدعة  
 العريّية التي لمسنا فيها رحابة الصدر  
 وتلقائية متميّزة ..



الإحباط : الشعر والرسم .. أيّ الفنان  
أقرب من ميسون صقر ؟

\* أنا أحبّ دائماً أن يقال عني الشاعرة وهذا الحكم قد يكون وليد تاريخ الشعر العربي داخل الواحد منا .. نشأته وبيئته .. لكن دائماً أرى نفسي مرتبطة بالألوان واللوحة وأرى نفسي في هذا الفعل طفلة تخريش وأحسّ بالفرح الشديد في عديد الأحيان وأنا داخل المرسوم لدرجة حتى في لحظات كثيرة لما لا أستطيع الرسم يكفي أن أغمس يدي داخل اللون خاصة أنني أتعامل مباشرة بيدي مع اللوحة ... والشعر قد يكون قريباً من الجزء المحزن فينا .. الجزء المليء بالشجن .. اللوحات والرسم يلاهبان الجزء الطفولي في ... وينخرط ضمن سياق احتفالي بالعالم .. الإحتفاء باللون .. بالتفاصيل الدقيقة .. هو يجسّد لك عالمك بشكل واضح .. تكتشف نفسك منه .. ومع ذلك لا أستطيع أن أفضل هذا على ذلك لأنني دائماً أحاول أن يكون رسمي بمستوى كتاباتي وكتاباتي بمستوى رسمي .. فالفعلان عندي واحد وكلاهما من نبضي ...

الإحباط : النّش في خراب الأشياء جليّ في لوحاتك .. فهل هو بحث عن ترميم الروح البشرية .. أم هناك أسباب أخرى ؟  
\* قد يكون هذا وليد قلق عام تعيشه الذات



العربية فينعكس ذلك داخل العمل الفني .. فأنا  
كثيرا ما يقلقني الغوص في أغوار الذات ..  
فهناك عوالم داخلية حتى أنا لم أكتشفها بعد ..  
وكان هناك أخرى بداخلي ترسم ، فأنا عندما  
أضع أمامي اللوحة والألوان أشعر أنني في عالم  
آخر له مناخاته الخاصة وطقوسه .. ويصعب  
عقلنته بما هو سطحي وكأني مجرد أداة تحركها  
امرأة أخرى .. ربما تتغذى من تاريخي الشخصي  
أو تاريخ الوضع العربي .. على كل .. الأشياء  
المفرحة لها طعم واحد .. إنما الأشياء المؤلمة  
تتعدّد رؤاها وألوانها ...



الإبحار : الإرتباك على مستوى الفراغات داخل  
اللوحة مع الألوان الحادة في أشكال مسجّة طابع  
يرافق أغلب أعمالك ...  
\* أنا معنية كثيرا بالنحت .. صحيح .

الإبحار : هل تنطلقين من لغة تشكيلية معينة  
.. أي فكرة مسبقة ومعقّنة .. أم هي وليدة  
الإنفعالات على هبتها ؟

\* قليلا ما أعقلنها .. لكن هناك الرغبة في  
الجرأة وأحيانا هذه الجرأة تخرب علي كثيرا من  
اللوحات وأنا أعترف بهذا .. وكثيرا ما تتغلب  
علي الشاعرة أيضا في اختيار اللون أو اختيار  
موضوع أو مساحات .. جرأة أنك تهدم التركيب  
البنائي للوحة التقليدية وأنت ضمن سياق  
تجريبي .. وضمن سياق (ساذج) .. ومسؤولية





مزج الشعبيات بالألوان الحارة .. جرأة اللون مع جرأة الخط في سياق أن لا تكون هناك مساحة فراغ .. فأحياناً أنا لا أترك فراغات وأنتك تكدس الأشياء كما هي في عالمنا الحالي . أنت مكدس بأشياء كثيرة .. دون أن يترك لك مجال حتى للتنفس . بالنسبة للنحت أنا معنية به كثيراً وأحب هذا الفن جداً وأتمنى أن أنحت .. لكن لوحاتي وخاصة "الآخر في عتمته" كنت أتحديث عن الآخر فأرى أن الآخر في النهاية كتلة صلبة لا أستطيع أن أدخل يدي فيه .. لا أستطيع أن أعرفه إلا بما يقدمه هو لي .. وكأنه حجر .. إذا الحجر هنا هو ، الآخر معتم لا أستطيع أن أدخله إلا إذا تسلحت بآليات النحت نفسها .  
الإبحار: هناك نحت على مستوى التشكيل  
أو التجسيد اللوني ...

\* نعم .. لكن هناك نقطة أريد أن أعود إليها في مجال النحت .. فمسؤولية أن ترسم الأجساد بشكل غير نحتي يجعلك تقترب من الواقعية .. الواقعية التي أنا نفسي مرتبكة فيها .. في مفهومها .. وأيضاً في تفاصيلها .. فدائماً أنا مرتبكة من رسم العري مثلاً بشكل كامل .. مرتبكة من الوجوه الأخرى التي تظهر في اللوحة فأتساءل من هي .. فكان الشكل النحتي هو شكل مموه بالنسبة للوحات ...



الإحساس : جانب آخر في لوحاتك لاحتضاه وهو التجريد اللسوني مع الحركة السريعة .. فهل هو وليد نوع من القلق الشخصي .. أم وليد ما يشهده الوضع العربي من تذبذب واضطراب ؟



\* هما الإثنين معا .. على قدم المساواة .. المستوى الشخصي - أي الذات وما تحمله من تفاصيل متعبة ومقلقة - والمستوى العربي وما تعيشه هذه الأمة من أحداث .. وقد تضجّ الذات أحيانا فأشعر أنني بحاجة ماسة لتمزيق اللوحة .. وكأنّ شيئا ما بداخلي يريد الانفجار ولا أجد له متسعا يليق به .. وهي حالة عادة ما يرتابني الذهول .

الإحساس : هل يعود هذا لضيق مجالي الشّعري والرسم على تبليغ ما تكايدّه الذات المبدعة ؟  
\* احتمال وارد جدا .. فالفنان تواق للأشئئ خاصة أنّه يعيش الأحداث بأكثر حدة من سواه .



الإحساس: نلاحظ في أعمالك التشكيلية محاولات جادة في تكسير الأنماط المتداولة في المذاهب الفنيّة مع المحافظة على بعض الجزئيات الموروثة من الفن العربي (كتقنيات النحت ) أو الخطوط الموزعة فيشكل تعاويد وخرافات ... فهل من توضيح لهذه التقنية ؟  
\* طبعا أنا لست ناقدة وصعب أن أتكلّم عن تجربتي بشكل كامل لكن هو صحيح هناك

جزء لا يخفى من الأساطير والحرافة .. داخل اللوحات وكأنه عالم خفي ولم يمس بعد كما الفلسفة في الكتابة أنا معنية فيها ضمن كتاباتي .. لكن هناك بحث عن خصوصية تفرضها لغة عالمية موجودة ومؤسسة وثابتة .. ضمن الشعر العربي . أنت تدخل سياق صغير لكن ضمن الفن التشكيلي كلغة عالمية تفرض عليك البحث عن خصوصية من خلال مزج مقومات الأصالة العربية والإفتتاح على التجارب العالمية بطابعك أنت الخاص .. وأمام هذا كله تجد نفسك متوتراً وباحثاً عن الذات/الجامعة .



**الإبحار : لو نتحدث عن دور المرأة المبدعة في**

هذا الوقت وهل تجاوزت ما كان مطروحا أمام مي زيادة وبنت الهادية وغيرهما ؟

\* أنا حين أكتب أنجرد من انوثتي إذ أعبر عن وجودي سواء شعرا أو رسما ... لهذا أرى الإبداع بعيد عن التأنيث أو التذكير لأن الفنان يتعامل مع عالم روحي ينطلق من الذات الباطنية .. وأنا لا أتفق مع التقسيم النقدي نسائي ورجالي ..

**الإبحار : هناك نوع من الشئط يعيشه الفنان التشكيلي العربي بما أفقد هويته عديد التجارب .. كيف تفسرين ذلك ؟**

\* المبدع عليه أن يواكب عصره وأن ينهل من مختلف التجارب العالمية دون أن يفقد ذاته وكيانه .. وطرق التعامل مع منجزات الفن التشكيلي

ARCHIVE  
http://Archivebeta.Sakhril.com



العالمي تختلف من شخص إلى آخر وقد لا أرى مشكلا في هذا المجال .. فالأزمة في الشَّعر هي أكبر بكثير من الأزمة في الفن التشكيلي .



الإحفاق : هناك نفس سربرالي في بعض اللوحات فهل يدخل هذا في باب التجريب أم جاء بطريقة عفوية ؟

\* لا ... هو جاء بطريقة عفوية وهذا موجود حتى في كتاباتي الشعرية أيضا وخاصة في الآخر في عتمته ، والسرد على هيئته . وقد أتى من تعاملتي مع الأساطير التي أنا مغرمة بها وأحاول أن أستوعبها فكان التعامل مع السربالية بشكل عفوي .. لكن هناك وعي بتلمس الخيوط الأولى فيه رغم أنني لا أحب السربالية كثيرا ولا مانع أن تدخل إذا كانت ضمن لوحة ما أو ضمن حالة خاصة .

قبل الختام :

تحية إكبار لما يقدمه الرسّام والإذاعي محمود قفصية من متابعة نشيطة للمعارض التشكيلية ضمن برنامجه : أضواء على الألوان " الذي يبت كل يوم جمعة من الساعة الثامنة إلى التاسعة مساء على أمواج إذاعة المنستير . هذا البرنامج أضحي رافدا هاما في التعريف بالتجارب التشكيلية ببلادنا . ونحن بدورنا دعمالكل التجارب الناضجة والواعدة .. وإلى نافذة لاحقة .



ARCHIVE  
<http://Archivebeta.Sakhris.com>

# براكين

شعر : أميرة الرويتي

ضوء ..

انفجر في الرّحيل

محطات

تستقبل الوجد

عناقاً ،

لثّم أفواه البراكين .

أطُر ..

معلقة

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فوق جدران القناديل ،

تلتهم الذّاكرة ..

تسخر ..

من أمس ، ..

كانت فضاء اتّ

دفعاً ..

تقلص مع اندلاق الأفل .



# ثلاث شهادات اعتراف

شعر : عادل الطرابلسي

## \*شهادة أولى :

ليلي  
إن قلت إنني آسف  
لا تعجبي  
فأنا الذي أخطأت لما  
قلت ليلي اقتربي ،  
إن قلت حبك قاتلي

## \*شهادة ثالثة :

أحلام  
لا تحسبي قولي  
إليك حبيبتي  
فيما مضى أحكاما  
إن قلت إنني عابد  
عينيك للسحر احتراماً  
فلكم جباها قد حنت  
لتقدس الأصناما .

## \*شهادة ثانية :

مريم  
اعذريني  
إذا قلت بالأمس  
أنت الملاك

## "نشوة ..!"

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

\*\*

\*\*

شعر : بشير ضيف الله

\*\*

\*\*

\*\*

\*\*

البدايات وهم ..

يعربد في صولة الهذيان تسكعنا !!

\*\*

\*\*

والنهایات قبلت تستفرّ معاولنا !

\*\*

\*\*

والأكفّ التي انتعلت خلسة ..

كلّ شيء جميل ..

\*\*

\*\*

تكسرّ حاجز أسفارها .. علنا !!

هي ذي جنّة الأرض - يا صدرها المتملل -

\*\*

\*\*

تسفسف ماء، تولجها ،

\*\*

\*\*

مثل كلّ الصّباحات .. دون انتظار ..

مشاركة خلفتنا <http://Archivebeta.Sakh>

\*\*

\*\*

هي ذي جنّة الأرض .. يا سيّدي

\*\*

\*\*

كيف .. كيف تكون جنان السّما ؟!

\*\*\*

\*\*

\*\*

ردّدي كلّ شيء جميل ..

\*\*

\*\*

فالهواجس أيقظت الطّفل في جسدي ،

تتمرّد .. أو تشتهي في التّجلّات

\*\*

\*\*

أرمدتي ،

\*\*

\*\*

شاكسي أنت يا وطني المتجلى ،

رمال طفولتنا !!

\*\*

\*\*

\*\*\*\*\*

# انزياحات قديمة

شعر : عبد الفتاح بن حمودة

\* الإهداء : إلى الصديق عبد الفتاح الحجمري

أطلسي (1)

مُدِّي ذراعك يا نجوم . فهنا الشجر ، ومُدِّي يا مياه  
يديك للورد البعيد ، البعيد ، لعل خطاه في الحجر !  
وتُمطر النجوم

في كفتي ويدفأ الشتاء ، وتولد الغابات في صداه ،  
وتورق القيوم

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

مُدِّي ذراعك ..

لا نهار في السماء ، سوى المرأة ، ولا ظلام في الجداول  
ومثل طائر جميل ،

أحفر الأحلام بلا قنابل !

مُدِّي ذراعك ..

الطريق أنا يده في العراء ، تذهبان وتهب الدماء . وأنا ..  
وفي كالحجر . مُدِّي ذراعك ..

هنا الحمام والرّخام وأعين الشجر !

## أطلستي (2)

الحروف نديّة وأنغام الضوّ تُوقَد في شفتي  
والوردة محفورة في الماء . اللّيل ..  
مقلوعُ الأظافر  
والبحر  
الأزرق  
في الصّحراء !



أطلستي (3)  
ARCHIVE  
<http://Archivebeta.Sakint.com>

عام آخر ، لزرع الشّمس في الشّجر  
عام آخر ، لزرع القمح في الأسماء .  
ومياهُ جَمّةٍ لاستدعاء طفل من نجومٍ !  
عام آخر ، والشّمس في منقارها أغنية قديمة .  
والشّمس تفتح الرّياح وتأكُل الحجر ..  
والشّمس تفتح أزرارها الرّياح ..  
سافرت فيها أكثر من جثتي ،  
سافرت في ظلمتها ، سافرت في الأشياء .  
وورّدتني لأنّني بلا قميصٍ تناثرت في اللّيل ...



# أنت

شعر : سوسن سلمان سيف

العراق

غادرت

ونسيت وجهك

في المرأة

\*\*\*\*\*

غادرت في ثوب الغابات

في الثوب الأخضر

ستهاجر كل طيور الغاية

وأجمل ما في الفراشات

وخيوط الشمس الذهبية

\*\*\*\*\*

وبياض الثلج في الغيمات

وحملت الحب معك

وحملت شوق السنوات

أنسيت نجوى أماسينا

\*\*\*\*\*

<http://Archivebeta.Sakhr.net>

وحديث العشق على الشرفات

ونسيت شعرك على كتفي ؟

وأصابني تعبث بالخصلات

\*\*\*\*\*

وفقدت دفء ذراعي

ورفيف قلب قد مات

مهلا يا حبي الأوحـد

فستأتي رياح التشرينات

العمر كالرمل يتبعثر

\*\*\*\*\*

من أيدينا في لحظات

إن عدت يوما لمملكتي

ستحطمي أنت المرأة !

\*\*\*\*\*

باريس 1998/2/18

# أنا الطين في البدء في المنتهى

شعر : سمير تهيش

أنا الطين قبل مجيء السماء

لتصنع تركيبة البدء والمنتهى

في دمي ...

أنا الطين كنت

ولا عشب في جبيني

لا غيمة فوق رأسي

ولا رعشة لهواء ...

أنا الطين قبل الرحيل الطويل

إلى عالم " السد هند " (1)

والكيمياء ...

وفي قمة الحلم كان الدهول

- خذ " النور " قيل

- وابدأ طريقك نحو النزول

.....

وحين تحوّل ظلي امرأة

كنّا خياليين غمسي

وثالثنا من هراء ..

أنا الطين قبلُ

أنا الطين بعدُ

أنا الطين في البدء والمنتهى

مارس 1998

1 - كتاب هندي في " علم السحر " ترجم في عهد المأمون إلى العربية (بيت الحكمة ) .

# بأيّ فلسفة تنقذني ؟

شعر : رضا ديداني  
الجزائر

- 1 -

ككلّ ليلة أتنزّه ،

بمقبرة البحر .. !

مرة ، مرّ ظلّ امرأة وراء الباب

وأنا أختلي بخليّة ،

أكتشف سرّ الحلم

أنا خرافيّ ، وهي سرايب

- 2 -

صوتي نهرٌ ،

وقامتي في الشّارع تزحف كالشّعبان ،

كم تتطلّل بي ، كي يمرّ قريبها !

، حتّى لو فضحتني يد الرّاعشة

تملّأني خصلتان .

- 3 -

لا أنمّادى

لا أندخل ..

أحزاب تتراشق بأحلام شعب ،  
لا شيء يدل على شيء  
رأيت جماجم تقترب  
وفتاة دامعة تسألني ، وكأنني أسألها  
بمعنى دموعك تراجع بقايا الحب  
- 4 -

وحده سألني ،  
وأنا أتملى وجه البحر  
عند ضفة ساحلها  
سقطت ، لأتسلى بكل أنواع القبل  
وحده سألني ،  
حينما نام سؤاله .  
في قاع البحر !  
- 5 -

بأي فلسفة تنقذني ؟!  
من هذا الرقص ،  
ذاتي فقيرة جداً ،  
ورؤيتي خلفك ترتعش  
حتي لو اقتربت  
بهاء الوردة موسيقى ،  
وأنت نزة العرش !  
من يبلل شفة الوردة  
ويبتعد لأعيش بقية الوقت ؟!

- 6 -

نسل فاضح ،  
يشدني إليك  
خطأ تمرّد بين أنياب الصمت  
متى تسأم ،  
وتوهم أنه ما قيل مجرد حلم  
وتتحمل هذا الجسد الكهل ؟!

- 7 -

نسل فاضح ،  
من أخطائه ارتكبت الخطأ  
ودجنت عرش الفلسفة  
نسل فاضح ارمي  
وأنسل من أنساقه .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- 8 -

بياض ضائع يمك جدران المقهى  
كلما أنظر فيه ، يشدني ،  
ليريني أسنانه السوداء  
من يقظم هذا الوقت  
ويبلغ شدتي  
،، توسّلت كي أشهد ما شاهدت  
استعصى الوقت  
لا حيلة لي ،  
انتظروا نزاهة الحكمة .

## ألم وأمل

شعر : محمود جاء بالله

أتاني اليوم مكتوب  
عذابي اليوم يزداد  
وهذا العيش منكود  
طويل أنت يا ليلى  
دموع العين مدرار  
لذات العزم محزون  
فهل من مخبر عنها  
وفي أنت يا خلي  
وسيف الدهر قطاع  
ضروس ذاك فتاك  
لساني صار معقودا  
كفاني رمس أوجاعي  
رفيق العمر قد نرحل

أهاج القلب أضناني  
وجسمي ذاك ينهار  
ومرّ الطعم تشرابي  
وعندي الحزن ألوان  
وذاك القلب مشطور  
دهتها اليوم أقدار  
يجازي دون حساب  
زمان الناس غدار  
لأهل المجد سفاك  
عدو ليس مأمونا  
وصوتي ظلّ مبحوحا  
مللت اليوم كتماني  
فنحن اليوم صنوان



## لذّة التوهج

شعر : أحمد الفطناسي

|                            |                          |
|----------------------------|--------------------------|
| كدّس عيس عطشى              | يا امرأة متقدّة          |
| تنكح الحصباء أخافها        | متوهجة ..                |
| فتخفي ألما                 | مشتعلة ..                |
| تجد لذّته في صدورها        | ألهمت عودها الغض         |
| قلبي زاد دعسها             | نار الغضب الدفين         |
| على غطش                    | فاستيقظ الداء في أحشائها |
| على يفس                    | كان نطفة                 |
| والليل اليل                | أصبح علقه                |
| يا امرأة متقدّة            | وأمسى مضغة               |
| متوهجة ...                 | كان دفيناً               |
| مشتعلة ..                  | كذلك الخلق الأوّل        |
| اغتيال كيائها أوج الصبا .. | منذ اجتثت                |
| وتغتالني وقتما تشاء ..     | عوداً أخضر               |
| وكيفما تشاء ..             | استباح اللهب بكارتها     |
| أستبيح شفيتها              | بخطى وثيدة               |
| المتلوّنة .. المتغيرة ..   | زحف الموت معه            |

من لون صفاء القلوب  
إلى لون الغيرة ،  
إلى لون القطران  
كليلة من ليالي العمر  
قمرية كانت أم شمسية  
فكلها سواء  
استبحت فيها أخواتها  
وعماتها ، وخالاتها  
وكل بنات قبيلتها  
لا فرق عندي بينهن  
ما دامت الحركات البسيطة  
بالخنصر ...  
أو البنصر ..  
أو حتى الوسطى ..  
تكفي  
حتى يهرولن  
بأنفاسهن المتلاحقة الخانقة

يا عزيزي  
لاستباحة دمك ..  
يا امرأة متقدة  
متوهجة ..  
مشتعلة ..  
بماذا يا ترى تفسرين  
أنفاسك المتلاشية  
في الأفق البعيد ؟  
غير دليل عرقي المبذول  
في سحب روحك الدقينة  
عمري الآن خمس وعشرون  
لكن الذي مضى  
منها ياسيدتي  
خمسون !!  
فبماذا يا ترى تفسرين  
توهجك ..  
واشتعالك .. ؟



## تعويذة العشاق

شعر : المكّي الهَمّامي

ربّما ...

تتفتّت

... تهطل ...

في راحتينا السّماء ...

(زرقاء

زرقاء

<http://Archivebeta.Sakhi.net>

ويساقط الغيم في عري أعماقنا

ربّما ...

كنت طوّقتك

ثمّ جرّحت وجهي في صوتك المرمريّ

وخبّلت شعرك بالتمّتمات ...

أحبّك ...

والأفق ما بيننا متعب

والسّماوات مبتلّة بالذهول

أحبك ... كم قلت إنني أحبك ...!

لكنني الآن في غفوة الموت

أحفن ثلجا على ركبتيك

أعدُ ضفائرك الـ (.....)

وأبعثر في وحشة الوقت مرجانك

صامتا ...

كنت ... مرتبكا ...

كالعصافير ...

أقتاد بلور هذا الصبح

إلى مقلتيك ...

أهش الشمس

وها ...

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

شعرك البربري

خفافيشه في يدي ...

وها ... ينضج العشب أنفاسه

..... ويقطر أسرارهِ الصبح

يطفر من تحتنا الماء

مشتعلا كالفضول ...

تجوس الينابيع

... في دمنا ...

وتمدّ يديها الحقول

## نحو استعادة السقف الحديد ...

شعر : عمر الشهباني

قد كنت مأسور القواد بحبكم  
كنتم بقلبي تسكنون مساكننا  
أفضيت منباب توسع عرضه  
رتبت نفسي أن تكون مراتعا  
وحجرت عيني فلم تر غيركم  
كم كان مشغولا وكان مكايرا  
لم يفتح الأبواب قط ولم يزل  
عاجلته في الفتح هل تتمكني  
فاجتحت فيه موقعا متقدما  
أغريته بالوصل منك فأقبلت  
فانصاع مرفوع اليدين لموعده  
لما أتاكم بعد طول تسوف  
واشتم منكم ما تضرع ربحه  
وأريتموه من جميل سجيّة  
كنت ملاكي لا ألوذ بغيره  
وأطلت مشوار التواصل فترة

واليوم قلبي من هواك تحرر  
لم تنفتح أصلا لغيرك آخر  
من أجل فصل من غرامك أخضر  
للحب . فالإلهام زهره أثمر  
ووقفت قلبي في هواك فأقصر  
عن كل حب جاء رسله بالكرى  
عن كل حي قلله متعذرا  
فأصبت منه مقتلا فتأور  
لم يستطع نكرا وإلا الأنكر  
أنفاسه لهجا وإن تأثرا  
خفقا حثيثا دون أن يتأخرا  
واشتاق منكم أن يمسن وينظر  
وأذقتموه ما أرق وأسكر  
وسحرقوه بالعفاف فلا يرى  
كنت المرايا فيك أنظر ما أرى  
واغتلت في العشق ليلة أزهر

هل كان حلما يعتريني كما اعتري ؟  
 مترقبا نجم الغروب إذا سرى  
 مازلت أجري خلفه سبلا جرى  
 ولقد هدمت ما بنيتـه أحجرا  
 أمرامن الغربان أن تتدمرا  
 أن اعتزالني كان عنك مدبرا  
 كنت انشروحت إذ قصدتك مؤثرا  
 إذ قد سألت من أشار فشاورا  
 خروفا على التاريخ أن يتغير  
 ولقد ألفت الدهر أن يتأمر  
 ولقد علمنا في التراث مآثرا  
 أو كل حلم شئت أن يتقرر  
 لا تألني إن كان قلبي أقفر  
 والحب فضل ليس ذنبا ليغفر  
 وهو السلام للقلوب فتصبر  
 وهو النجاة ، والمسير تعشر  
 فطبائع الأشياء أن تتغير  
 بك يا " سناء العين " أن تتبختر  
 قد كان محرابا لكم... وتكسر

فاخترت هل حقا كلامك نافذ ؟  
 مازلت يا حلما أفقت بشمسه  
 مازال يحدوني خيالك مؤنسا  
 مازلت أبني في فؤادي قلاعه  
 لا شكّ عندي أن هدم قصورنا  
 لا شكّ عندي . مثل أنك مهجتي .  
 كنت هفوت يوم جنتك طالبا  
 ثم ارتبكت بعد وصل نفوسنا  
 فعزمت ألا تدخلني معارك  
 ضحيت ! إكراما لمن طاف حولك  
 ولقد عرفنا في الزمان صروفه  
 ما كل أمر يستحي مسكته  
 لا تندمي عَمَّا تواتر بيننا  
 فالقلب ملكي والزمان معالج  
 الحبّ لحن في المعابد كلّها  
 وهو الأمين في التواصل بيننا  
 إن كنت قد أبدلت حبّا بحبنا  
 ولكم دعونا بالسعادة كلّها  
 لكن قلبي والحقيقة قلتها

## أمّ العزّ

بقلم : الشاذلي الفلاح

حين يحتدّ الكلام بينهما تكون أمّ العزّ هي الأولى التي تفتح نافذتها على مصراعيها وتقف تمتصّ بأذنيها ما يصلها من لغو .

كان موعدها دائما ليلا على السّاعة الثامنة والتّصف حين يعود " الطيّب " إلى بيته الذي غادره منذ الصّباح الباكر ، قبل أنّه " سمسار سيّارات " مختصّ في " الأفسيار " وله دراية كبيرة بكلّ جزئيات البيع والشّراء .

وحين يعود تكون الحُصرة قد لعبت برأسه ، يؤدّ لو لم يره وعندما تسأل أيّ شخص : ما هذه القرّعة ؟ يجيبك دون تردّد " لقد عاد كعادته كلّ ليلة " .

في تلك اللّيلة يحدث له الأمور غير عادية ، ضوء الشّقة بدا له منطفئا ، تعود أن يجد الباب مفتوحا ، تفتحه زوجته حالما تسمع صوت المحرك خوفا من الفضيحة ، في هذه المرّة اضطرّ الطيّب إلى طرق الباب مثنى وثلاثا ، اندفع الدّم الساخن إلى حلقه ، ثارت سحته ، أغلق يده اليمنى في حلق ، ضغط على أصابعه مجتمعة ثمّ اندفع نحو الباب يصبّ عليه جام غضبه ..

وحين أحسّت بالخوف يعصرها عصرًا أسرع إلى الباب تفتحه ثمّ عادت بسرعة عجيبة واختفت وسط الظّلمة التي غطّت المكان ، ولج الدّار متحفّزا يزعم كالوحش بأعلى صوته .

لزمت أمّ العزّ مكانها ، لم تتحرك ، تكوّر جسمها كتلة واحدة وأحسّت هي أيضا بخوف يزعم بدنها ويضيق عليها الخناق .. يزعمها حين تسمعه يصل كالأسد ، يهتزّ قلبها اهتزازا حين تسمعه هكذا تتذكّر في الحال أمّها حين كان أبوها يقسو عليها يطرحها أرضا ويدوسها تحت قدميه ثمّ تتذكّر زوجها حين كان

يفرس أنفها في الوحل أو في قاع القدر ولا يتركها إلا بعد أن يسيل من بدنها الدَّم .

تستحضر كل هذا وهي تعيش نفس المشهد من جديد وترى المأساة في غيرها من جديد فتتهمر الدَّموع من عينها حارة كالنَّار وتنتابها ارتعاشة غير عادية تهز كامل أعضاء جسمها ، لكن جارتها - هذه اللبلة - تختلف عنها وعن شتى النساء الأخريات ، "حفيظة" - مهما يكن الأمر - جريئة سليطة اللسان في المواقف الخرجتولها حين بهم زوجها بضربها تتسلح بما لديها في بيتها دفاعا عن نفسها : يد المهراس ومخباز العصيدة وعود الحلويات كلها أدوات تعتبرها من أنجع الوسائل الدفاعية .

لم تكن - أم العز - تستطيع أن تفعل مثل ذلك ، روضتها الأيام أن تكون لقمة سائغة للرجل يفعل بهما يشاء ويقسو عليها متى شاء حتى صار الأمر لديها طبيعياً جداً تتقبله حتف أنفها ولا تتصور وضعاً آخر سواه ، هكذا كانت حياتها إلى أن خطف الموت شريك حياتها ، "سامحه الله" هي العبارة التي بقيت ترددها دوماً كلما استرجعت أيامها ولياليها معه .

وشاء الصدف أن يجاور رجلاً فاضلاً غليظاً كزوجها ، لكن ما يثلج صدرها هو حينما يصل بهما الخصام إلى حده فتتهار قوة الطيب - وتشورثائرة حفيظة فتنهال عليه بكل ما أوتيت من قوة لطمها وركلا ، حينها تشعر "أم العز" بالنشوة تغمر صدرها وبالنخوة تدغدغ خلاياها فتتهز طرباً لكل لظمة وتنتشي تشبياً لكل ركلة ... في تلك اللحظة تتفجر في أعماقها روح انتقامية غريبة ترجعها إلى الماضي البعيد فتتألم وتأسف لعجزها المتناهي وخضوعها التام حين كانت تُقاد كالبيهمة لا حول لها ولا رأي وفي الآن نفسه تشعر بالإرتياح وهي ترى الهرم المقدس يتهاوى أمامها بعد أن بقي شامخاً طيلة قرون كثيرة خلت ...

وحين تهدأ العاصفة حوالي العاشرة ، يسود العمارة صمت شبيه بصمت القبور حينها تتخلى أم العز عن مكانها الذي تسمرت فيه مطمئنة في انتظار الموعد الجديد موعد الثامنة والنصف ليلاً ...

# القانون لا يحمي المغفلين

قصة قصيرة

بقلم : عادل محفوظي

على كرسي خشبي قديم تأكلت أطرافه وتغير لونه لفرط استعماله جلس فتى في ريعان شبابه عاري الجسم تماما إلا من فوطة حمام وعلامات الحيرة والذهول بادية على ملامح وجهه الريفي يتأمل الحروف الحديدية للآلة الرأقنة وهي تتراقص أمام عيون الأبحاث الذي يجلس في الطرف المقابل إلى طاولة عريضة يوجد على طرفها هذا المتهم وثيابه مبعثرة ؛ رفع رأسه ينظر حوله ؛ الغرفة فسيحة جدرانها رمادية اللون قابلته صورة رئيس الدولة إلى اليمين شعار العدالة آلة وزن ، إلى اليسار إطار مزركش نقش بداخله قوله تعالى " إن حكمتم بين الناس فاحكموا بالعدل " ، أدار رأسه للإطلاع على الجدار الخلفي ففوجئ بصفحة على رقبته من الضابط رئيس المركز الذي كان يقف خلفه ثم صاح في وجهه .

- ما اسمك .. ؟

الشاب يتساءل

- من .. أنا يا سيدي ..!

الضابط مستهزئا

- لا .. لا .. يا عزيزي إنني أسأل نفسي ..!

ثم صاح ثانية وكان هذه المرة أقوى وأشد ...

- قلت لك ما اسمك يا سي ...

- آه سامحني سيدي اسمي طاهر ...

فضحك الضابط بصوت عال وقال ساخرا

- اسمك فقط طاهر ...! ولكنك أكبر الأنجاس ...

قال ذلك وهو يصل ويجول داخل القاعة ، راح إلى الشرفة المطلّة على الشارع أشعل سيجارة ثم عاد وقف قبالة نفث في وجهه دخان سيجارته ، أدار هذا الأخير

رأسه مغمض العينين وقد أحسّ بحرقة الدخان داخلها وبدأ يسعل مخاطبا الضابط بصوت متقطع .

- أح... أح... أرجو... أح... أرجوك سيدي... إني لا أطيق هذه الرائد.. أح ..  
أح .. الركناحة لأني لا أدخن !...

قهقه الضابط مرة أخرى في سخرية ...

- لا تدخن .. صحيح !! ولكنك تزني وتشرب الخمر فقط ...

- أنا سيدي .. استغفر الله .. فوالله العظيم ...

قاطعه الضابط

- اسكت يا سي ال... لا تذكر اسم الله في محاضر الشرطة ، فان لم تكن تزني فبماذا تفسّر وجودك عاريا مخمورا في غرفة بائعة هوى حريفة بالسجن وذات سوابق .. ؟

- حاضر سيدي سأحكي لك كلّ ما جرى لي بكلّ صدق ... كنت ...

- اسكت ...

قاطعه الضابط ملتفتا إلى جون الأبحاث

- افتح المحضر في الساعة الثامنة مساء وفي اليوم السادس من نوفمبر سبعة وثمانون وتسعمائة وألف بعد أن تلقينا عدة تشكيات من الأجوار بشأن سلوك سيّدة قاطنة باحدى الشّقق بالعاصمة ويعد مراقبة المكان اقتحمت دورية من دوريات الأمنيّة .. لا .. لا .. بل اكتب باذن من وكيل الجمهورية اقتحمت دورية من دوريات الأمنيّة التابعة لفرقة حماية الأخلاق وحقوق الإنسان الشّقة المذكورة فألقت القبض على المتّهم صعبة كهل وفتاتين في عمر الزّهور والعجوز صاحبة وكر الحناء والجميع بحالة إيقاف وهذه أقوال المتّهم الأوّل ثمّ التفت إلى الفتى

- ماذا كنت تفعل هناك ... ؟ ومن ذلك على المكان ... ؟ وماهي علاقتك بالفتاة التي ضبطت معها داخل الغرفة ... ؟

- سيدي أقسم لك بربّ الكعبة أنني مظلوم .. لقد قادتني الأقدار إلى العاصمة لأوّل مرة في حياتي منذ فجر هذا اليوم قادما من مسقط رأسي باحدى أرياف الشّمال الغربيّ التّونسي بعد أن مللت البطالة وضاعت بي الدّنيا وكرهت العيش هناك ، فبعت خروفا



من أغنام عمي التي كنت أرهاها ، قبضت ثمنه ، حزمت أمتعتي ويارحت الدوكر ليلا حتى لا يتفطن لي أحد ومنه إلى المحطة الجهوية للحافلات حيث وصلت العاصمة في الخامسة من صباح هذا اليوم ... وإن لم تصدقني فهذه تذكرة الركوب وبقية ثمن الخروف لازالت في جيبى . ومدّ يده إلى سرواله الملقى على مكتب عون الأبحاث ، أدخلها ، فتش كل الجيوب ، اندهش لإختفاء المبلغ ففز من مكانه صائحا مذعورا والتفت إلى الضابط .

- أقسم لك سيدي أن كل ما رويته لك صحيح وأني لا أكذب يا إلهي أين نقودي ... أين بقية ثمن الخروف ... أين السبعون دينارا ... ؟

وفي هذه اللحظة تقدّم عون ثان وهمس في أذن الضابط بصوت خافت جدا - صحيح سيدي " الكوميسار" لقد عثرنا على المبلغ الذي ذكره في الحقيبة اليدوية للعجوز صاحبة الوكر ... حينئذ التفت الضابط للفتى صائحا

- كفك قميلا ... عن الخروف ... والتفود ... وهل لديك أقوال أخرى ؟ - نعم سيدي بقيت هناك قابعا في المحطة حتى أشرقت الشمس ودبت الحركة في الشوارع سرت أجوب أسواق المدينة العتيقة وأزقتها بأحشا عن أي شغل حتى أعباني الشعب والجوع استلقت على كرسي بالمديقة العمومية فغلبنى النعاس ولم أفق إلا على صوت فتاة تسألني ...

- مابك نائم هنا ؟ ومن أنت ؟ وأين ذاهب ... و ... وفلما عرفت قصتي أوهمتني بأن أخاها يعمل ميكانيكي وهو بصدد البحث عن " صانع " فأعجبت بالفكرة وحمدت الله أن ابتسم لي الحظ منذ اليوم الأوّل ويكلّ هذه السهولة ، ولما سألتها أين سأقطن ضحكت وطمأننتني بأنني سأكون كامل النهار بالمستودع وفي الليل سأعود مع أخيها إلى الدار لأستقرّ هناك وطلبت مني مصاحبته لتقدمني إلى عائلتها فغمرتني سعادة لا توصف ، رفعت عني حقيبة الأدبаш سرنا على الرصيف ، كانت ملتصقة بي واضعة يدها بيدي فأحسست بحرارة في كامل جسمي وينشوة لم أعرفها طيلة حياتي إذ أنني لم أتعود غير ملامسة أغنام عمي وحمارة الملعون وكلبه المدلل وكنت أحكي لها عن إعجابي بالعاصمة وجمالها وعمارتها الشاهقة وكثرة الإزدحام والسيارات وكانت هي

تضحك وتضحك ... وتسألني عن الرِّيف وعن ... وعن...

كانت السَّماء تمطر رذاذا تبلّل شعر رأسيّنا فينساب الماء من أعلى جبيننا عبر تقاسيم وجهينا ليتسرّب إلى داخل جسمينا ونحن غير عايين بذلك كَتَانضحك ونلهو ولم نبال بطول المسافة حتّى وجدنا نفسينا أمام باب الشِّقّة فتحت هي الباب ودخلت بعد أن أمرتني بالانتظار قليلا.

بقيت بعض الوقت كنت أسمع وشوشة وضحكات من وراء الباب ولكّني لم أعر الحكاية اهتماما . ثمّ عادت ومعها العجوز تأمرني بالدخول . كانت الغرفة ضيّقة مغمّمة بدخان السجائر يكاد ينعدم فيها الهواء تماما ، أثاثها مبعثر ، ثياب وقوارير ملقاة هنا وهناك فضحك الضابط وقال مازحا :

- قوارير " شربات " من نوع خاص ... آه ...

- أقسم لك سيدي أنّها شبيهة بالقوارير التي رأيتها في زفاف جابر ابن عمي وقد ...  
فقاطعه الضابط

- لا علينا وأصل .. وأصل ... ثمّ بعد القوارير ...

- هناك أعقاب سجائر تكاد تغير بلاط الغرفة .. غلال وثمار .. كؤوس مقلوبة على أعقابها ... خبز سيدي .. نعم خبز " لعلّة ربي " ملقاة على الأرض تداس بالسيّقان على عتبة الباب ... صور مجلّات نساء عاريات ملصّقة بالحائط ... ملابس نساء داخلية معلّقة فوق الكراسي ... الشيء الذي جعلني أقول ببني وبين نفسي سيدي الضابط وأنّها يمكن أن تكون شقّة لأيّ شيء إلا أن تكون لميكانيكي ...؟! فلم أر حتّى " كلابة " تبعث في نفسي الإطمئنان أوحى " مفك براغي " ...؟! ...

كنت كذلك سيدي ولازلت ميّلا من المطر قائما وسط الدّار مشدوها حتّى اقتربت منّي العجوز مهلّلة ... مرّجة ...

- أهلا ابني ... أهلا بك ... الآن ستغيّر ثيابك المبلّلة وستفطر ويعدها سننتظر جميعا عودة ابني من " القاراج " لنقدّمك له فسوف يفرح بك كثيرا ويأخذك معه إلى العمل وسوف تتعلّم الصنعة .

قالت ذلك بعد أن ناولتني كأسا من " الشربات " أو هو عصير على ماأظنّ لم أعد أذكره جيّدا المهمّ أنّه كان باردا أخضر اللّون طعمه ورائحته كانت شبيهة " بالبسباس " فلم أشعر بعد أن تلهفت الأولى كيف طلبت الثّانية والثّالثة ... ثمّ أذكر أنّ العجوز

قادتني حتّى باب غرفة أخرى وطلبت منّي أن أنزع ثيابي المبلّلة بماء المطر كي تحفّفها وتكويها ، فسانزويت وراء الباب ورحت أنزع القطعة تلو الأخرى وأرمني بها واحدة بعد واحدة إلى الصّالون فلمّا تأكدت العجز من رميها لآخر ما ستر عورتني انسحبت ... ودخلت عليّ الفتاة ويدها فوطه حمّام ... وشهقت متظاهرة بالحجل وكأنّها لم تتعوّد أبداً على رؤية هذه المشاهد ورجعت قليلاً إلى الوراء .

- ووه .. سامحني ...! لم أكن أعلم أنّك تغيّر ثيابك! ثمّ عادت ودخلت : على كلّ أنت الآن لست بغريب عن البيت واقتريت منّي لتناولني الفوطه كانت هي الأخرى غيرت ثيابها المبلّلة بأخرى شفّافة لا تكاد تخفي شيئاً من محاسن وجمال جسدها كنت أراقب نهديها البارزين من بين الفتحة المتعمّدة للأزوار الفوقيّة لقميص النّوم ، أقسم لك يا سيّدي الضابط أنّها المرّة الثّانية في حياتي أشاهد نهدين عاريين عن قرب ...! فقال الضابط مستهزئاً :

- ومتى كانت المرّة الأولى إن شاء الله ...؟! أظنّ في شقّة أخرى ...!

- كان ذلك لما عثرت على صورة خليعة بأحدى صفحات المجلّات فاحتفظت بها كي ألقي عليها نظرة كلّ مساء قبل النّوم حتّى وقعت ذات مرّة بين يدي زوجة عمّي فضررتني وصاحت في وجهي ثمّ أخذتها واحتفظت بها في حقيبتها اليدويّة .

<http://Archivebeta.Sakhuji.com>

فانفجر الجميع بالضحك إلاّ الفتى ...!

وقال الضابط :

- واصل ... واصل ...

- ماذا سأواصل سيّدي البقيّة تعرفها فبينما كنت منشغلاً بمشاهدة جسد هذه المصيبة ماداً يدي لأتناول " الفوطه " إذ بأعوانك يقتحمون الشقّة ولم أفق إلّا هنا أمامك ...! فالتفت الضابط إلى عون الأبحاث يأمره - اقلل المحضر ...

وناول الفتى لفّة من الأوراق ليمضيها بعد أن أمضى هو بطاقة إبداع ثمّ أمر السجّان مخاطباً إيّاه :

- ألق بسّي الطاهر وجماعته في بيت الإيقاف حتّى تنظر المحكمة في أقوال الجميع فبالنسبة لي القانون لا يحمي المغفلين .

بقلم : عبد الجليل العلوي

وقفت إلى جانب السرير توقظ زوجها عَجَلَى ، مُحمرُّ وجهها في ضوء المصباح الشَّاحِب . واضطربت ملامحها وجحظت عينها ، ورجفت فرائصها ... ومزَّق صوتها صمت هزيع أخير من ليل شتائي دامس الظلمة ، رهيب .

- ما الأمر ؟

- أفاق ابنك الصَّغير تغشاه نوبة ذعر وبكاء . سألته السَّبب فلم يجب ، ولم أهتمد إلى إدراكه .

أسرع الأب إلى غرفة ابنه ، وانطلق خلدّه بهيم في سبب الظنون والتَّخمينات والإستفهامات : ما عسى أن يقض مضجع طفل لم يبلغ سنّه التاسعة ، ولا حمى ولا علة ظاهرة ؟

كان الصَّغير قد استوى جالسا في فراشه ، وجلس أبواه إلى يمينه والشَّمال . بادره الأب وهو يمَسِّح على رأسه ، قال :  
- ما الذي أيقظك في مثل هذه السَّاعة ؟ هل أنت خائف ؟ مم ؟

.... -

وقالت الأم :

- هل حلمت حلما مزعجا ؟ هل أنت مريض ؟

... -

قال الأب :

- هل ترغب في النَّوم إلى جوار أمك كما يحلو لك أحيانا أن تفعل ؟

... -

قالت الأم :

- هل ضايقت أحمد في شيء ؟

ورمق الأبوان ابنهما الآخر أحمد ، فاذا هو يغطّ في سبات عميق ..

قال الأب :

- لعلّ أحدا في المدرسة قد افتك منك شيئا أو أثار حنقك ؟

... -

وأومأت الأم إلى زوجها أن كفّ عن السؤال . واحتضنت الطفل ، ومازالت تهزّه رعدة بين القينة والأخرى . وهمست له إن كان يرغب في أن تسمعه بقية حكاية الطيّار المفقود . وارتخى ناظرا الصبي . وأحاط بذراعيه الصغيرتين خصر الأم . واستندت رأسه إلى صدرها . وأشارت منه نظرة عذبة أنه في الإستماع .

قالت الأم : « ... وفتح الطيّار عينيه وقد استفاق من غفوته .. فاذا به في مقبرة كشرت فيها القبور وازدحمت ، وتراكم جديدها على قديمها وقد امّحت معالمها وباتت ظللا ... »

وانتنفض الطفل واستوى في جلسته وهو في حذر أهله ، وقال في صوت أجشّ

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ذي غنة :

- لا ... كفي حديثا عن المقبرة ، أرجوك ! لا أرغب في المزيد من هذه الحكاية .

- لم ؟

... -

وساد المجلس سكون ، وقطع الأب حبل الصمت ، وقال :

- نسمعك بقية الحكاية إن لم تعلمنا ما بك !

... -

وعاودت الطفل واحدة من أمواج تقاذفته ذي الليلة .. أمواج من الأسى والألم والإنزعاج .. وأصرّ على الصمت وأعرض عن الإنصاح عمّا بداخله ، وليس به من حراك إلّا رجف من حين إلى آخر ، بهزّ ذي الجارحة منه ، أو تلك . وسكن المقام ثلاثي استبداد مزعج : تشنّجٌ وحيرةٌ وأسى ، تخلّلتها نظرات تسأل من الوالدين

وإليهما ... وأنبجست من حدقتي الطفل دمعتان خطّتا على خديّ مسربين  
متناظرين ، متوازيين ، وانتهت العبرات إلى الإستقرار على كفّ الأم الحاضنة ،  
وعليه سالتا بعد نقرتين متزامنتين انتفض لهما قلب السيّد ولم تسمعهما أذناها  
... وانسلّ الأب على مهل إلى فراشه ...

وأبان وضع الصّباح عن خبايا غياهب الليل وأغواره : ولم يبن عن حقيقة  
سهاد محمد وأرقه ، فقصد أبو محمد المدرسة برأس مثقلة ، يقرع أمّها رجع صدى  
هتاف استفهامات وحيرة صمّاء خرساء ...

قال معلّم محمد : « وفاء ، تلميذة من فصل محمد .. جاءت المدرسة يوما  
متأخّرة ، حزينّة باكية وسخة . على غير عادتها . عبوسا ، وجوما ، وكانت  
صبيحة ، مرحة . ولم تبرّر للمعلّمة تأخّرها المتكرّر .. وأعلّمت المعلّمة المدير فأرسل  
في طلب أبي وفاء .. وأكد السيّد وحيد أنّ ابنته تخرج صباحا في وقت كاف لتحلّ  
بالمدرسة قبل زمن الدخول . واختار الجميع وألغوا في السّؤال ، وأرهبوا وفاء ، حيناً ،  
ورغبوها حيناً لتفصح عن سبب تأخّرها عن المجيء إلى المدرسة ، والمسافة إليها غير  
بعيدة والطريق آمنة ... وأصرت الصبيّة على الرّغبة عن الكلام . وتنادت في  
البكاء .. واستأذنت المعلّمة المدير وأبا وفاء الإنفراد بتلميذتها التي كثيراً ما  
بهرتها بذكاء حاد ، ونباهة بيّنة ، ونتائج دراسيّة متميّزة .. ومرّت راحتي يديها  
تباعا على خديّ البنت وفي رأس " المدرسة الأم " حيرة وسؤال عمّا قد يعكّر صفو  
براءة لم تبلغ بعد سنّ التاسعة ، قالت :

- ما الأمر ؟

- ...

- أين تذهبين إثر الخروج من الدّار ، صباحا ؟

- ...

- من تلاقين في طريقك إلى المدرسة ؟

- ...

- سنقترح على أبيك أخذك إلى المدرسة المجاورة إن لم تتكلمي !

- لا ... أرجوك « سَيَّ » ... إنِّي أقصد المقبرة أزور قبر أمِّي عسى أحمد لهب حنين إليها ، تأجج في أضلعي ولا سبيل إلى إطفائه إلا إذا ما أطبقت عليّ ذراعيها ، كما كانت تفعل ، وضمتني إليها ، فأعانقها وأرتوي من قريح شرابها وأنام في حضنها بعض الساعة ... رغبة عاتية ، جامحة ، تنتابني كلما أغدو إلى المدرسة أو أروح ، وأمرٌ بالمقبرة .. وينهكني ضمناً شديداً فأقف طويلاً عند قبر أمِّي لكن الماء فيه سراب وعدم ...

وغشيت وفاء نوبة شهيق وبكاء وانتفاض ... وانحبس في فيها الكلام وانقطع صوتها الأغنّ وارتقت بقدرها الحسن الصّغير توارى وجهها بين ما نثأ من حضن مخاطبتها .

وهزت المعلّمة بذراعها جسد الطيبة الواهين ، الراجفة فرانسه المتداعية أوصاله ، تضمّها إليها وتمسح على شعر كالحرير لكنه أدفَعُ مغبر ، قد شابتها الشوائب وصبغته يد الإهمال بطلاء الوسخ والشعث . ورجت المدرسة أبا وفاء أن تأخذ معها البنية ليال ، فتضمّها وتعانقها وترويها شراباً معيناً من العطف والحنان والأمن عسى تكون تركيبته تركيبية كوثر فقدته اليتيمة وصار غوراً لبعض شهر خلا من الزمن ... وعادت المعلّمة إلى الفصل آخذة بيد وفاء ، مكفكة دمعا من عيون أريج .

وغشى القاعة سدف من الصّمت ، قشيب ، رهيب ، يخرقه بعض شهيق من ذا المقعد أو من ذاك ... وانتظمت حركة أكفّ صغيرة بريئة طاهرة ، تمسح من خدود أزهار غضة نظرة دموع الشجن والجوى والحرقه والألم ... ولم يستطع كثيرون من هذا الفصل الثالث نسيان يوم علموا فيه بوفاة أم وفاء وتحلقوا حزل المتلذعة في ساحة المدرسة بكون ويواسون ...

# حرب الرجال

قصة قصيرة

بقلم : ديمش نريمان حنيقة  
الجزائر

كان يجلس لوحده بالمكتب طول النهار من دون حراك يحرق في فضاء المكتب، ويعب السيجارة تلو الأخرى لدرجة أن تشكل فوق الكرسي حيزاً دائرياً من التراب وراء المساحة التي لا تلمسها مؤخرة جسمه عند الجلوس ، ولا يخرج إلا مضطراً إلى المرحاض أو الإجتماع برئيسه المباشر في العمل ، ولا تكاد تسمعه يتحدث إلا بصياح ، ومساء الخير ، أو نعم ، أو لا ، ولذا له الإنصات لضجة وصخب فرقة المطر على الأرض ، غير أنه يهتاه الوافدة الجديدة التي أقحمها المسؤولون عليه إقحاماً ، ولا يعيونها العنصرية النجلاء ولا بجسمها الممتلئ الغض ، إنه لا يحبذ الاختلاط بالرجال ؟ قلم باله بالنساء ، وكيف سيتعامل مع هذا المخلوق الشرار ؟ .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

الحرب رحاها دائماً دائرة بين أمه وزوجة أخيه وزوجة عمه على هذا الطفل ضرب ذاك ، والآخر سرق لعبة وطعام الآخر ، وتلك البنت عايرت تلك أنها تبول في الفراش ، وأنها تلعب مع الذكور ، وعلى المطبخ ومن تغسل صحنها أولاً ، وعلى المرحاض ، وعلى نظافة أرض الصالة المقسمة مساحتها بينهما ، أما الحمام فالسباب والشتم قائمة من أجله كل صباح تقريباً ، فالكمل جنب ويود أن يغتسل ، فتتهم النسوة بعضهن أنهن مصابات باسعال في الجماع . لأشد ما يستتفه عالم النساء هذا ، وما يستتفه أكثر حروبهن التي لا يجدن فيها غير التراشق بالكلمات . وتزداد حرب الرجال احتداماً ويزداد عنف التراشق بالجماجم ، والأصابع المبتورة ، وشرائع اللحم الآدمية المتعفنة ، وتفتح لعنة الإنهيار فاهها أكثر لتمتص رحيق الأفكار ، والسواعد مدمية ظلال الأشياء الجميلة ، ومفرقة في تشويه ملامحها و ... وكم كانت ملامحها مريحة ، وكم أزعجه أيضاً ذلك الإرتياح الذي



أحسّه ، فلم يشأ أن يسلم عليها بل اكتفى أن ألقى السلام بجفاف ومضى ، مما أثار حفيظة زوجة أخيه من أجل شقيقتها وأرسلت له بزوجها كي يعتقه إن التمس منه خضوعاً ثم لم تصبر وانفجرت في وجهه متّهمة إياه بالتعجرف ، والكبر ، ولم تصبر أمّه أيضاً ، واشتبكت معها ، واضطرّ أخوه إلى ضرب زوجته لإسكاتهما والأطفال يصرخون ، وزوجة عمّه واقفة تتشقى بما يحدث ، والفتاة بملامحها المريحة غارقة في البكاء ... والوافدة الجديدة غير آبهة بتعجرفه ، ولا مبالاته وعدم رده عن أسئلتها بل وتحرص أن تمدّه بفناجين القهوة ، فبرتشفها تحرجاً لكثرة رفضه من دون تلذذ . مجموعة كيلوغرامات من الألم . هي ، تنفّس وتأكّل ، وتقوم بالوظائف الحيوية ، وتمارس تفاصيل الحياة المرفقة ، حتّى الأصدقاء نصفهم هاجر ، ونصفهم إمّا قاتل أو مقتول ... وهم وجد نفسه مقهوراً أمام هذه المعادلة ، وهم أراحه قرار الحياء منذ سنوات ، وهم تعذب أيضاً . ففي كلّ مرة يسمع نبأ اغتيال صديق آخر ، أو جار آخر ، أو قريب آخر والحياء مستمرة وشقيقة زوجة أخيه تتفنّن في تطريز قطع القماش في حبور وانتشاء منتظرة أن يشملها بعين الرضى ، والوافدة الجديدة تتجرّأ أكثر وتترك قدميها تلامس قدميه . محل جسده وبرت فيه النشوى تتلوّى جذلي معانقة أنفاسها المحمومة . على قدر استمساكه وهو يطبق على شفتيها ، يفترسهما افتراساً ، على قدر إحساسه أنّه في مازق الكثرة رغم ذلك ظلّ يفترس شفتيها افتراساً متناس طلبها أن يحدّد موقفاً . صاحبة الملامح المريحة أيضاً طلبت منه ذلك ذات افتراس فداهمه المأزق ينهشه بمخاليه ، فكّر وتعب فكتب تقريراً بالوافدة إلى رئيسه يطلب منه نقلها لعدم جدتها وتصيّبها في العمل ، وتنكّر لصاحبة الملامح المريحة . قد كان يوماً مميّزاً أنصت فيه لضجّة وصخب فرقة المطر على الأرض بعمق نافضا يديه من غبار .

ضعف وتفاهة الأنوثة التي لا يحتملها الوقت الحالي منتظرا مجيء وقت أحسن . وجاء وقت المساء ، جاء حابلاً بانفجار في الحافلة التي كانت تقلّه للبنيت ، ووجد نفسه بالمستشفى مبتورالقدمين يفتش بين الوجوه الأليفة الكثيرة العدد عن وجه الوافدة ذات العيون العسليّة أو صاحبة الملامح المريحة ليلقي بين حناياه أتعابه لكن بدون جدوى ، فالأمور سارت بمنطق آخر ، منطق حرب الرجال .

## « حائط الموتى »

قصة قصيرة

بقلم : عبد الستار جبر الأسدي

بغداد . العراق

رأيتها تقترب نحوى دون أن تلاحظ مكانى ، كان أمامها أسماك ميتة ومكدسة فوق بعضها فى عربة عريضة تجمّع فى حوافها ماء راکد تلوث برائحة عفنة ويقشور انسلخت من جلود الأسماك الصغيرة والكبيرة بينما لبطت بعض الأسماك وهي تلفظ آخر أنفاسها ، خمنت أنها ستختار غبرى ، بالإضافة إلى شلّة من نساء أخريات تجمّعن حول العربة وبدأن باختيار الأسماك حسب رغبات جيوبهن ، ومن المحتمل أن أسقط فى أكياس احدهن ، بعد أن يتقلب جسد السمكة بين أيديهن وينضغط بين أصابعهن ، امتدت الأيدي إلى الأسماك المرصوفة حولي وقربى بعشوائية ، ثم انشغلنى يد ذات المرأة التى وقعت بيدها البسرى عباؤها لنلأ تتلوّث ، وأخرجت من جزلانها إدياقاً نقدية دفعتها إلى مالكي السابق ، بائع السمك الذي تبلّلت دشدشاته الزرقاء بمياه قذرة ولصقت بين أصابعه وانحشرت فى أطافره قشورناعمة ، بل وصلت حتّى رأسه واندست بين شعره المنفوش الذي يبدو أنّه لم يمّشطه منذ أن ولد ، وهو يصدح من بين باعة السّوق بصوته النّحاسي الخشن يعلن عن بضاعته : « سمك طازة ، سمك جديد » النّقود التي يلتقطها من أيدي المتسوّقين فى كيس من القماش خاطته له زوجته ، يتدلى فوق فخذه بعد أن شدّه حول خصره ، وينتظر انتفاخه بالنّقود حتّى المساء ، وقت نفاذ النّساء والرّجال من السّوق ، فلو ظلّوا حتّى الفجر يتسوّقون لظلّ هو كذلك دون أن يفكر بالنّوم والراحة ، دسّت المرأة السمكة فى كيس النايلون ولقّته حولها لنلأ تنتشر رائحتها أكثر وتلصق بشمار البرتقال الذي اشترته قبل قليل ، عمّت الظلمة فى الدّاخل وأحسست بعماء شديد ، وكان جسد السمكة طرياً دون أن ألمسه ، وأرهف طراوة كيس النايلون الملفوف ، أمّا العتمة فتسيل طراوتها فوق

عيوني، أقصد عيون السمكة التي ظلت تبثق في لاشي، في أشياء لا  
تستطيع رؤيتها، وأنا كذلك، بينما المرأة تبصر طريقها إلى بيتها بوضوح،  
سارت فاهتز كيس النايلون بأشياءه المعبأة في باطنه وبدأت العتمة تتأرجع في  
الداخل، لم يكن الإحساس بالمسافة التي قطعها المرأة شيء يمكن التعود عليه  
لأنه من المؤكد لن تتكرر تجربته مرة أخرى، وظلت التخمينات المألوفة تطن في  
مخيلتي: اجتازت شارعاً تزامت في وسطه السيارات وأصوات أبواقها،  
أمامها بيوت بأشكال مختلفة يلعب قرب أبوابها الأطفال، سلمت على شابة  
صادفتها كانت جارتها في ما مضى، وكذباً حلفت تصوراتي في الظلام،  
الظلام الذي اخترقه النور فجأة وجعله يختفي في مكان ما، مدت المرأة يدها  
وأخرجت السمكة إلى الهواء، وضعتها على المغسلة وكانت قد نزع عباؤها  
السوداء دون أن تنزع السواد نفسه الذي ظل لون ثوبها الذي تتناوب على  
ارتدائه مع ثوب توائم آخر منذ سنوات، بقربي انصب صنبور المياه عالياً فتحته  
فانهمر الماء بغزارة، غسلت يديها بسرعة كأنما تريد أن تتخلص من عوالق دقة  
سحبت طبقاً عريضاً قارباً ثم اختفت من درج دولابها المستند على حائط المطبخ  
سكناً لم نصلها في القوس، المتسلل من نافذة المطبخ المفتوحة الستائر، ارتجف  
خوفي وارتعشت من رذاذ الماء الذي سقط في عين السمكة وبللني دون أن ترمش  
السمكة جفنها، من النافذة المشرعة أبصرت صبياً يتسلق سياج الحديقة الخارجي  
ويطل برأسه من على الحائط القصير، وباهتمام فضولي ظل يراقب ما يجري في  
المطبخ، هنا، وليس كما ظننته أنه قد نط على السياج ليستعيد كرتة التي  
سقطت في الحديقة، اقتربت السكينة تحملها ذراع بيضاء شمّرت كم ثوبها إلى  
زندها وكأنها تريد أن تحصد، ستقتلني المرأة، أرعبني الأمر، ولكنني لا  
أستطيع إيقافها ولا أستطيع أن أصرخ كي ينقذني شخص ما، بحثت عن  
مكان آخر أهرب إليه غير عين السمكة الصغيرة الضيقة، فاصطدمت بمكاني  
نفسه، اصطدمت بنفسي، وتزايد فزعي مثل ربح تكبر لتصبح عاصفة، انغرس  
النصل في رأس السمكة دون أن يمسي، فزفرت وكأن جيلاً من خوف أزعج عن  
كاھلي، استمر النصل يشق السمكة إلى نصفين طولاً، أخرجت المرأة أحشائها

الملوكة بدم قان ورمتها في سلة أوساخ ترقد تحت المغسلة ، ثم أخرجت مبيض  
 السمكة المتلى بالبيوض ووضعت جانبا ، ومدت يدها إلى كيس من الملح أخرجت  
 منه حفنة وذرتها فوق السمكة المشقوقة ، وكان الصبي الذي يراقب ما يحدث  
 من على السياج ، قد تصلّبت وتشنّجت عيناه وسالت من بطنه دماء ساخنة لظّت  
 حائط السياج الأبيض ، كان يشبه السمكة ولكن بلا قشور ، كان يشبه المرأة  
 ولكن بلا سواد ، كان يشبهني ولكن بلا جسد . ولم أنزف أنا قطرة دم ولكنني  
 كنت أكثر إحساسا بالألم دون أن أتأوه بل أتألم بصمت يسكون . فتحت المرأة  
 الصنبور من جديد فتدفّق الماء منسابا يصطدم بحوض المغسلة ثم يتطاير رذاذه  
 متفرقا فوق المغسلة مثل نافورة صغيرة تبلّلت من جديد فانتعشت وتفتّت لو يصل  
 رذاذ الماء إلى الصبي المسكين الذي سيعاني حتما من مغص في بطنه وسيبقى  
 الثلاثة ليال على الأقل . كان قد اختفى حالما فركت المرأة يديها بالصابون ثم  
 أشعلت قرن الطباخ وحيات السمكة للشواء . الآن لن أنجو من مية جهنمية .  
 ستحرقني المرأة ستجعلني أموت على نار مستعرة . أحرقتني الرعب قبل أن  
 يشوني فرنها ، لكنها قبل أن تدفع طبق السمكة المهيأ للشواء إلى الفرن ،  
 أسرعرت إلى ساعة الهاتف كي تبطل صراخها . وفي غرفة استلامي لمية أكيدة  
 نطت قافزة من النافذة المفتوحة قطرة رماديه اقتنصت فرصة غياب المرأة لتنفّظ  
 على فريسة دسمة . وحالما عطّت رأس السمكة وأطبق فمها عليها وهي تحاول  
 جرها . رأتها المرأة فأسرعت باتجاهها صارخة مثل دبّة قد سرق طفلها ، هلعت القطة  
 وولّت فارة تاركة السمكة وأنا نسقط مع الطبق من على المغسلة . انقلبنا على  
 الأرض وبسرعة رفعت المرأة السمكة التي نهش رأسها مثل قثال شوّهته يد السنين  
 . رفعتها وحدها بعين واحدة دون أن ترفعي . بقيت تحت على أرضية المطبخ  
 ودون أن تنتبه المرأة دحرجتني بإصبع قدمها اليمنى . فوصلت إلى باب المطبخ  
 الذي يطلّ على غرفة نومها ، سرير غابت عنه راحة رجل ودود ، ودولاب ملابس  
 ملوثة هجرها جسد يرفض البهجة فعانقها غبار الإهمال وثمة امرأة أُبدل عليها  
 شرف أسود بينما على الحائط المقابل تعلّقت ثلاث صور لثلاث رجال اتّسخوا  
 بالسواد ، تفاقت راحة الشواء في المطبخ وتسرّبت إلى غرفة النوم ووصلت إلى

أنوف الرجال المحنطين وراء الزجاج المعلق على الجدران . أخرجت المرأة السمكة العوراء المشوية وقربتها مثل طبق من البخور والحرميل قرب الصور المعلقة التي لم تكن تنظر باشتهااء إلى السمكة ولا إلى المرأة بل إلى لحظة من حياة تفتقدنا الآن ، وضعت المرأة الطبق على مائدة ، انتصبت وسط الغرفة ، ثم عادت إلى الصور تخاطبهم وكأنهم يسمعونها نبيرة حزينة :

- اليوم خميس ، موعد ثوابي لكم ، جلبت لكم السمك الذي تحبونه ، اخترت أكبر سمكة وشويتها من أجلكم .

وظلّت عيونها تدور بينهم تتوسّل جمودهم وتعلقهم المرير منذ سنوات على الحائط ورفضهم للنزول . تلفتت إليهم وتغيّرت ملامح صوتها المختوق بالعبيرات :

- تفضلوا بالعافية ، ألف عافية !

وأشارت إلى الصورة الأولى بينما ثمّ الثانية والثالثة وهي تناديهم :

- زوجي ، ابني ، أخي ، تعالوا ، تفضلوا ...

بكت وانتحبت بصمت ، ثمّ تذكرت أنها أخذت عهدا على نفسها أن لا تبكي عليهم وأمامهم ولا تلعن القدر والحرب على خطفهم منها . تذكرت الحبز وفي طريق عودتها إلى المطبخ انتهت لوجودي ، حملت العين المقلوعة ، حملتني بأصابعها وظلّت مترددة بين أن تقذفني في سلّة الأوساخ مع أحشاء السمكة الأخرى أو تعيدني إلى مكاني المخلوع . ظلّت محتفظة بالعين وذهبت لجلب الحبز الذي عادت به إلى المائدة . فتحت أصابعها وحدقت في العين ، في نفسي ولكنّها لم ترني ، حسمت أمر العين مع نفسها : « إنّها سمكتهم لهم ويجب أن تكون كاملة لا ينقصها شيء » ، أعادت العين إلى محجرها في رأس السمكة المشوية ، وانزعجت ثلحة من رغيف الحبز ، نظرت إلى الصور بشوق وحنان ، تمتمت مع نفسها قبل أن تمدّ يديها إلى السمكة : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ستأكل لوحدها ، لا أحد معها ، لا أحد تنتظره ، حدقت فيها بامعان أكثر من ذي قبل ، كانت تشبه أمي جدا جدا ...

# الدورة الخامسة للملتقى الوطني

## للأدباء العصامين

« مساهمة المبدع العصامي في تشكيل  
الثقافة التونسية خلال القرن العشرين »

متابعة : بلهوان الحمدي

صانع الأحلام !؟

إلقيبته ذات صيف كافر . لا أذكر أين : في حيّ الزهور أو في قلبية أو في  
أتون نار حامية . كان يغلي كالمرجل لا تفارقه أشجانه . يفعل وتشقه زفرات عدم  
الرضا وأمنيات كبيرة من الوهم والرؤى . وفي كلّ الأحوال لا تفارقه الإبتسامة  
وتسكنه آمال عذاب لا يحصى .

وهدف الرجل : سأصنع المحالّ والمفوّت <http://Archivebeta>

لا أريده كرنفالا ولا حصان طروادة . لا أريده بوقا أو ببغاء . سأقطع مع الكائن  
الرتيب وأهفو إلى الأعالي والخوارق . أريده وحيد عصره ومكانه . وليكن لقيطا  
بلا أصول ووحيدا لا فروع له .

هكذا أنت لا والد ولا ولد .

صانع الأحلام لا تخجل . فأنت أكبر منا . أكبر منهم بلا استثناء . هكذا أنت :  
بلقاسم بن سعيد الشاعر والإنسان . وهذا هو الملتقى الوطني للأدباء العصامين .  
هل نقول : هذا الشبل من ذلك الأسد ...

الوقائع هنا وهناك :

المكان : المركز الثقافي لمدينة سوسة .

الوقت : أيام 10 - 11 - 12 . أفريل 1998 .

في كلمة مدير المركز « الأسعد بن سعيد » الرَّجُلُ الْمُثَقَّفُ والعارف بأصول اللعبة الإدارية بصرامتها وتشريعاتها واللعبة الثقافية بعفويتها وانفلاتاتها ومروقتها . باختزال أجاد ممارسة لعبة " السلطان والرعية " أو " السلطة والحرية " . لذلك نجح وأبهر الجميع . جاء في كلمته ما يلي : « الملتقى الوطني للأدباء العصامين رحلة ابتدأت لتستمر وتنمو . هذه الدورة وفي سن الخامسة أودناها دورة للإمتياز نضوج فيها مفاهيم ورؤى فكرية تؤطر مسألة مساهمة المبدع العصامي في مجالات الفن وقطاعات الإبداع المختلفة . إن التقاء أساتذة وباحثين من مشارب مختلفة حول فكرة واحدة ، فكرة العصامية لهو أمر في غاية الأهمية لما اقتضاه الحال من حرية للفكر واهتمام بصنوف المبدعين وحروف الإبداع في تونس التغيير تونس الإمتياز . ويأتي انكباب المثقف بطرفيه العصامي والأكاديمي على صياغة مفهوم أكثر جدية لهذا المعطى من خلال حفريات معرفية داخل نصوص كانت رافدا أساسيا للحركة الإبداعية الثقافية في تونس . ساهم نادي الإبداع الأدبي بشكل كبير في بناء صرح هذا الفضاء الحواري . وانطلاقا من مدينة سوسة تؤسس الآن لمشروع ثقافي قوامه البحث الدؤوب عن أسرار الكلم وبواعت الإبداع بدعْم ومساندة كاملة ولا نهائية من وزارة الثقافة والمندوبية الجهوية للثقافة بسوسة وكافة السلط الجهوية والمحلية » . وفي تأطير الملتقى . ملتقى الأدب العصامي ليس أجمل من هذه " الإضافة " التي خطها صاحب الفكرة التأسيسية .

كتب بلقاسم بن سعيد : « مرحى ... لهذا الوطن الذي نحب ومرحى ... لهذا الوطن الذي أحبنا . يُخَيَّلُ لي أَنَّ هذا ما يفتعل في أرواح من توفوا وفي أنفُس الأحياء من عصامي هذا الوطن ... مساهمة المبدع العصامي في تشكيل الثقافة التونسية خلال القرن العشرين . لم يكن اختيارنا لمحور الدورة الخامسة للملتقى الأدباء العصامين اعتباطيا بل حثمه واجب الإلتزام إلى هذا الوطن . واجب الإعتراف بالمساهمات الفعالة لمبدعين أبدعوا في شتى المجالات الفنية والفكرية رغم كل الظروف التي حفت بهم .

وقد شئنا أن نحضر مساهمات العصاميين في جلّ الفنون وذلك تقديراً منّا  
لعطاءاتهم المتميزة . ثمّ إيماناً منّا بتنافذ الفنون وتلاقحها .

كيف نرى العصاميّة والعصاميين ونحن نعيش نهاية العقد الأخير للقرن  
العشرين ونحن نعيش يومياً على وقع ثورة الإتصالات والتقدّم التكنولوجي  
الرّهيب في وسائل الإعلام والوسائل السّعيّة والبصريّة .

إنّ المبدع العصامي في اعتقادنا هو كلّ من أبدع في مجال ما دون أن يتسنّى  
له تعلّم ومعرفة أسس وصناعة إبداع ذلك المجال مدرسياً أو أكاديمياً . هل يكفي  
هذا إذن لتنقش حيرة واكبت الدورات الأربع للملتقى . لقد كشفت لنا الحياة أنّ  
لإبداع العصاميين حضوراً فعلياً سواء داخل هذا الوطن أو خارجه . ولسنا في  
حاجة إلى إبراز الآثار الإبداعية التي تُداول وتُدرس بجامعةاتنا ، وهي من إنتاج  
مبدعين كابدوا لهب الحرف وجراح المداد ... » .

كان البرنامج ثرياً والمادة غزيرة شعراً ونغماً . شهادات ومدخلات وحوارات  
ونزوات واختلاقات ...

## ARCHIVE

### 1 - المداخلات :

تمحورت حول تحديد مفهوم العصامي والعصاميّة واعتنت بخصائص إبداعهم  
وسيرتهم الحياتيّة والتاريخيّة .

### أ - العصاميّة والعصاميّون :

الأستاذ أحمد الحذيري من (كلية الآداب سوسة ) : تناول في بحثه تعريف  
مصطلح العصامي وتوصّل إلى ما يلي :

\* المعاجم العربيّة لا تؤرّخ للمصطلح « عصامي » .

\* في جوهرة الأمثال : العصامي (من يفتخر بنفسه ) .

الغطامي (من يفتخر بغيره ) .

\* Robert : Autodidacte : s'instruire tout seul sans maitre

\* بعض المشاهير العصاميين : ذكر من العرب الكاتب عبّاس محمود العقّاد



والشاعر المهجري إيليا أبو ماضي والشاعر التونسي منور صمداح والموسيقار السيد درويش ...

أما من العالمين فقد استشهد بالروائي مكسيم غوركي والفيزيائي أديسون ... وخلص الأستاذ المحاضر إلى أن العصاميّة لاتعني الجهل والأميّة . والنجاح = 2٪ وحي وإلهام + 98٪ عرق وجهد .

## ب - خصائص السردية العصامية في تجربة القاص :

محمود بلعيد : الأستاذ " فرج بن رمضان " ( كلية الآداب بصفافس ) : كانت المداخلة مشروع أجوبة على أسئلة مريكة . بل لمّح إلى مأزق معيش لكنه وهي لا ندري أطرافه : جبهة العصاميّة ضدّ جبهة الأكاديمية . ولمّح إلى أن العصاميّة تحوّلّت إلى سلاح ضدّ الأكاديمية . هكذا ميّز بين سردية عارفة (تنهل من مراجع معرفيّة صارمة) وسردية عصاميّة (تنهل من منجم الواقع والهامش) فـ« العارف » حريص على الحداثة . أما « العصامي » فينزع منزعا كلاسيكيا لأنّ العصاميّة هي « طفولة الأدب » .  
نقول بعد محاولة الفهم والاستيعاب ما يلي : كم هو عجيب و"حداثي" هذا التقسيم للسردية بين عارفة وعصاميّة ؟  
العصاميّة هي طفولة الأدب والأمر لا يحيل على التّهجين ولا يُلغي الإبداعية والحداثة . بل إنّ الطفولة رؤيا ونبوة . العصاميّة احتجاج على التنميط والمنهج والإنسلاّب .

## ج - العصاميّة شهادة امتياز : الهادي العبيدي نموذجاً :

الأستاذ الصحفي "أحمد عامر" .

تناول المحاضر شخصيّة الرّجل باستفاضة سيرة ونشاطا .

\* الهادي العبيدي ولد سنة 1911 . درس القرآن ثمّ أمّ المدرسة العرفانية فالكلية الزيتونية ، أسس الرّكشديّة والإذاعة العربيّة بتونس وساهم في تأسيس اتّحاد الصّحافيين العرب وجماعة تحت السّور .

\* كتب التعليق السياسي والتحقيق الصحفي والشعر والزجل والأغاني (ماحلاها كلمة في فمي) . وعرب قصائد فرنسية .

\* مثل بالمسرح تمثيلا وأدار فرقة وهو لم يدرس المسرح ولا السنايو ، بل تخرج من مدرسة الحياة والتجربة .

\* من خصاله : الصدق والنزاهة والشدة وحلاوة المجلس والمعشر .

\* ترأس تحرير جريدة "الصباح" منذ تأسيسها سنة 1951 إلى يوم وفاته عام 1985

\* الهادي العبيدي بعصاميته شكل امتيازاً في الذاكرة الثقافية التونسية .

الرجل لم يعط لنفسه حياته .

#### د - أدباء تحت السور عصاميون شكلوا الحداثة :

الشاعر « عبد الحميد خريف » . جماعة تحت السور نشأت بين الحريين في : رضى باب سوقة . مثلت مجموعة من العصاميين ذوي مشارب واهتمامات مختلفة (شعر ، مسرح ، رسم ، صحافة ، موسيقى) بل قد تجد الواحد من الجماعة يمارس المسرح ويكتب الأغاني ويلحنها ويكتب القصة والرواية ...

" جماعة تحت السور " انجاء في الحياة والفن أوهي كما يقول " عبد الحميد خريف " : بحث عن الهوية المستهدفة من الإستعمار وأذيا له في الداخل . بل هي حركة " تحرير ثقافي وسياسي واجتماعي " .

ذكر المتدخل ببعض أعلامها : الشابي (الخيال الشعري عند العرب) ، الحداد (امراتنا في الشريعة والمجتمع) ، علي الدوعاجي (سهرت منه الليالي) ، بيزم التونسي وكريكا ...

واستنتج المحاضر ما يلي : " جماعة تحت السور بادروا بتجديد الثقافة التونسية في مجمل أعمالهم بحثا عن الحيز والحريّة . هي علامات ثقافية أخلصت لأفكارها وأثرت الثقافة التونسية والعربية بأعمالها في مختلف مجالات الفنون والآداب .

#### هـ - المسرحيون التونسيون العصاميون ودروب الحداثة :

حمدي الحمادي (أستاذ بكلية الآداب بمنوبة) : في مداخلته الرشيقة خاض الأستاذ في ما يلي :

\* أشكال العصاميّة : التكوين الميداني البحث ( لمن النهدي) : تكوين ميداني + اختصاص مختلف (فاضل الجعابي: أستاذية في الأدب الفرنسي) .

\* المساهمة في بناء الحداثة : تأسيس مسرح ما بعد الإستقلال (علي بن عياد) .

النزعة التجريبية ( المسرح الشعبي - المسرح الإحتفالي - المسرح الذهني - الممثل الواحد - الدور الطلائعي في التأليف المسرحي (عزالدين قنون) .

\* أمام تطوّر نقبض العصاميّة بتواجد المؤسسات التعليمية (المعهد العالي للفن المسرحي) بدأ حضور المسرحي العصامي يتقلّص شيئا فشيئا .

## و - تجربة الجامعة التونسية للسمنائيين الهواة :

« حسن غليلش » : الأستاذ غليلش من مؤسسي الجامعة التونسية لنوادي السينما بتونس . هذه الجامعة ظهرت للوجود سنة 1960 واحتضنت أغلب السمنائيين المعروفين في هذا المجال مع مغربين ومثّلين ونقاد وتقنيين .

الشغف بالفن السابع في تلك الفترة هو قناعة بأن السينما فنّ من الفنون .

ما هي إضافة التجربة ؟

- المجهود الذاتي لتعلّم التقنيات بتكوين نظري وتطبيقي .
- ربط الصورة بقيم فنية وأخلاقية جديدة .
- إعادة تشكيل الصورة والواقع .
- ما هي خصائص تجربة الجامعة التونسية لنوادي السينما ؟
- إنتاج حرّ طريف تجريبي ثري .
- نضالية وقطع مع الرسمي خطاها وممارسة .
- هل نقول لتلك الأسباب لا تملك الجامعة كاميرا واحدة ؟

## 2 - الشّهادات :

أدلى الدرغوئي ومحمد بلعيد بشهادتين أو بسيرتيهما الذاتية في أجواء من

الحنين الغامر ، هو الحنين إلى الجذور والطفولة والبدايات .  
فالقاص الطيب محمود بلعيد بدأ دراسته كسولا ضعيف النتائج . لكنه استيقظ وعاش تحولا بعد نوم طويل فأدرك تفوقا دراسيا في الرياضيات وأبدى ولعا بالمطالعة .

سافر إلى باريس سنة 1960 وتخرج من كلية الطب ومن مدرسة طب الأسنان دكتورا في طب الأسنان سنة 1967 . باشر مهنته في فرنسا مدة أربع سنوات ثم عاد إلى تونس سنة 1971 .

اهتم بالأدب وكتابة القصة منذ بداية الستينات ونشر مجموعة من القصص في مختلف الجرائد والمجلات التونسية في ذلك العهد . ينشر بانتظام أعماله القصصية في الجرائد والمجلات التونسية ومن حين لآخر في المجلات الشرقية كمجلة " الآداب " و " كتابات معاصرة " اللبنايتين وجريدة " أخبار الأدب " المصرية .

من أعماله المنشورة " أصداء في المدينة " و " عندما تدق الطبول " و " القط جوهر " و " عصافير الجنة " . . . في الرواية سينشر روايتين قريبا : " الرجل الذي تزوج ابنة الجيران " ورواية " بختور " .  
أما الروائي والقاص إبراهيم الدرغوثي " فقد أدلى بشهادة بعنوان " الكاتب بين الحقيقة والأسطورة " فحياته كانت دراماتيكية أي صعبة صعبة طلع من غياهب الذاكرة والخرافة والحكاية الشعبية فهو " الوحيد الذي يفك طلاسم الحرف في الأسرة " حيث كانت المدرسة " دار للكفرة " والجامع " دار للرب " .  
أضاع الدرغوثي عشر سنوات في كتابة شعر وجداني أخذته لعبة السياسة من سنة 75 إلى 85 حيث الماركسيّة والأغنية الملتزمة (الشيخ إمام وأولاد المناجم والبحث الموسيقي ... ) .

ويبوء تجرته كما يلي :

- الواقعية الاشتراكية (النخيل يموت واقفا - الحيز المرّ) .  
- العجائبية التجريبية (شبابيك منتصف الليل - القيامة الآن) .  
- لبراهيم درغوثي " أسرار صاحب السر " وهي رواية تحت الطبع بدار شرقيات - مصر ) .

### 3 - فسيفساء الشعر :

(1) لو حضرت هل كانت الشاعرة تنشد « لؤلؤة » :  
كبير عليك الهوى / وأكبر من القصيدة / وأبعد عنك التماس النجوم / من  
الأمنيات البعيدة / فجلّ النساء شبيهات بعض / وواحدة بين عصر وعصر تحيي /  
كلؤلؤة في الكنوز / فريدة (جميلة الماجري) .

(2) كتب الشاعر "بلقاسم بن سعيد" ومضات ملتزمة لا تدّعي العجائبية ! فهل  
هناك أعجب من واقعنا ؟ ...

|                            |                               |
|----------------------------|-------------------------------|
| *منحت بلادي رحيق شعوري     | وقلت استبدئي بزاوي الشحيح     |
| أحبك مهما تردت حياتي       | ورغم الأسى أنت سرّ طموحي      |
| *نهر كياني يشد والحب ممتلئ | أبان سرت يهزّ الحب مجتمعي     |
| الأرض عشقي والإنسان يكتبني | والحب طبعي وليس القول من بعدي |

(3) الشاعر " جمال الصليبي : يجمع في شعره خاصيتين تحببه للناس : إيقاعه  
وحماسه إلى جانب جودة إنشاده من قبل صاحبه والمقصيد كالبناء المحكم يصعب  
تفتيته لكنها هي مغامرتنا ! هذا مقطع أو "باب القلعة - القصيد" الموصوم " :  
إسراء " .

|                                   |                               |
|-----------------------------------|-------------------------------|
| اصعد فعند حدود الروح أروقة        | خلالها عبر العشاق .. والتحفوا |
| وأشرقوا من سماء البوح آلهة        | ضجت بهم همهمات الليل فاعترفوا |
| وحين ازدحمت أسرارهم أرجو          | حتى تفايضا الأرجاء والسجف     |
| سكنة الليل قد أفتت سرائرهم        | وخفقة الضوء أخفت كلما كشفوا   |
| آه هو الليل .. لا... بل ربما لعبت | أصابع الفجر حين الضوء يرتجف   |

(4) الشاعر "كمال بوعجيلة" : صاحب مجموعة " ترى ما رأيت " يتعافى  
شينا فشينا . ومن إبداعه نقرأ هذا القصيد :

لاشيء يغرينا برسم خريطة لرحيلنا / ورحيلنا لا شيء يعنيه / ركبنا البحر كي

نرسو على أرض / فضيعةنا مطالبنا الصغيرة :/ بيتا جميلا / وناقوسالدق الباب  
/ طاولة تجمعنا صباحا أو مساء / حديقة مترا مربعا / وحبية لا ترفض شهواتنا  
/ لو كنّا معا قبل البداية/ ماذا يحدث / يا قصيدتي اليتيمة / ماذا يحدث ،  
وأنا هنا.. / لا تونس فهمت مزاجي / ولّا النساء عذرنني / ولا المساء قاذني يوما  
إلى إسمي .

5) الشاعر الطبيب : المولدي فروج : كتب " خطيبي " :  
نامت وحيدة / وقيت .. كي أفتض فائحة القصيدة / أبهمها .. / أني دفعت  
الليل قربانا .. / لقافية عنيدة ؟ / إن بت أسكب في الورق .. ؟ / هي نائم /  
وفمي به بعض السجائر تحترق / قالت : " .. ولا أقبل الشعر في غير مملكتي "  
ثم نامت وحيدة ، / وحين تفيق الخطيبة مثل القصيدة / فلا شيء يعجبها سوى  
أنها امرأتني / الوحيد .

4 - بعض الأصداء : هي زوج بما رسمت في اتفاق الذكات من مظاهر وجواهر :  
\* الأستاذ بوراوي عجيبة ساس ووشة القصة بكل أريحية وأبدى بملاحظات قيمة  
حول النصوص المشاركة وأفسح مجالا طيبا ساعد على الحوار البناء .  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

\* بعض المشاركين ينتحلون صفات لا تصلح لهم . وهم غالبا ما يعانون من فقر  
في الذهن والذوق . ولسبب مايلقون حظوة لدى أولي الأمر !

\* الناقد عمر حفيظ المتخصص في " ابراهيم الدرغوثي " قال في حفل تكريم  
صاحب " كأسك يا مطر " أخشى عليك من استسهال الكتابة والوقوع في  
طاحونة التكرار .

\* وعدت فرحا مسرورا بعد أن شحذوا لي معلوم العودة بالقطار ذات  
ربيع مزعوم .